جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
جرجا

ابن خلكان
وكتابه
(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)

دراسة أدبية

د / حمام السيد أحمد بدوى
قسم الأدب والنقد

ابن خلكان وكتابة وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

دراسة أدبية

التعريف بابن خلكان : (١)

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان(٢) بن باول بن عبد الله بن شاكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن برمك (٣) لقبه شمس الدين (٤) ولقب أبيه شهاب الدين ، ويذهب ابن تغرى بردى إلى أن أجداده من بلخ إذ يقول : « البلخى الأصل، الإربلى المولد» (٥) وبلخ مدينة مشهورة بخراسان - ونسبه

---

(١) وردت ترجمة ابن خلكان فى كتب التاريخ والتراجم ومنها : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تعزى بردى ١/ ٣٥٣- تحقيق د/ إبراهيم على طرخان - طبع المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ٣/ ٣٧١- ط دار الفكر، طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين السبكى ٨/ ٣٣ - تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الخلو د/ محمود محمد الطناحى - طبع هجر للطبعة والتوزيع ١٩٩٢م، مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعى ٤/ ١٤٥ـ طبع دار الكتب العلمية ، البداية والنهاية لابن كثير ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعى ٤/ ١٤٥- طبع دار الكتب العلمية، البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٤ - طبع مصر سنة ١٣٥١ هـ - الأعلام لخير الدين الزركلى ١/ ٢٢٠ - طبع دار العلم للملايين سنة ١٩٧٩م.

(٢) خلكان : قرية ، وخلكان جده الثالث - وتضبط هكذا : بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة - تاج العروس - للزبيدى ٧/ ١٣٦ - مادة « خلك» - طبع مصر سنة ١٣٠٦هـ -

(٣) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغزى بردى ٧/ ٣٥٣، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى تحقيق د/ محمد محمد أمين ٢/ ٨٩- طبع القاهرة ١٩٨٤م.

(٤) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ١/ ١١٠ - تحقيق د/ إحسان عباس طبع دار الثقافة- بيروت ١٩٧٣- ١٩٧٤م .

(٥) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ٢/ ٨٩ .

معاصره كمال الدين ابن العديم إلى البرامكة[1].

وقال الزركلى : « يتصل نسبة بالبرامكة»[2].

وتشير بعض كتب التراجم إلى وجود مشكلة فى نسبه منها ما رواه الصفدى وابن شاكر الكتبى أن ابن خلكان سأل بعض أصحابه عما يقول أهل دمشق فيه ، فاستعفاه، فألح عليه فقال : يقولون : إنك تكذب فى نسبك، قال ابن خلكان أما النسب والكذب فيه فإذا كان لابد منه فكنت أنتسب إلى العباس، أو إلى على بن أبى طالب ، أو إلى أحد الصحابة، وأما النسب إلى قوم [3] لم يبق لهم بقية ، وأصلهم فرس مجوس، فما فيه فائدة[4].

واشتهر بابن خلكان . ويرى صاحب طبقات الشافعية أن خلكان[5] قرية من عمل إربل. وعليه تكون هذه القرية قد سميت باسم جد الأسرة.

وكان والده شهاب الدين محمد فقيها، تلقى الفقه ببغداد على ابن فضلان ثم عاد إلى الموصل وأقام فيها أربع عشر سنة ثم عاد إلى إربل

(١) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى : ١/ ١١٤. ،والوافى بالوفيات صلاح الدين الصفدى ٧/ ٣١٣- طبع استانبول سنة ١٩٣١.
(٢) الأعلام : ١/ ٢٢٠.
(٣) القوم : البرامكة .
(٤) الوافى بالوفيات ٧/ ٣١، فوات الوفيات ١. ١١٣.
(٥) طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٤٩٥ .

وعمل بالتدريس حتى وافته منيته فى ٢٢ شعبان سنة ٦١٠هـ[1].

وقد ولد ابن خلكان - كما قال فى كتابه - يوم الخميس بعد صلاة العصر حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١م) بمدينة إربل[2] وتقع هذه المدينة بالشاطئ الشرقى من دجلة على مقربة من الموصل. وقد ذكر مثل ذلك كثير من كتب التراجم والتاريخ، قال ابن تغرى بردى : « مولده بإربل فى يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة [3]ثم التبث عليه الأمر فقال فى موضع آخر: « مولده فى ليلة الأحد حادى عشر جمادى الآخر سنة ثمان وستمائة بإربل»[4].

ويستفاد من ذلك أن مولد ابن خلكان كان فى سنة ثمان وستمائة بمدينة إربل .

نشأة ابن خلكان :

واضح من خلال ماسبق أن نشأة ابن خلكان كانت بمدينة إربل وفيها

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان - تحقيق د/ يوسف على طويل، ود/ مريم قاسم طويل- ورد ذلك فى ترجمته لشرف الدين أحمد كمال الدين موسى بن منعة - ترجمة رقم ٤٥- طبع دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٨م.
(٢) المصدر السابق: ٢/ ٢٨٨- وقد جاء الحديث عن مولده فى معرض ترجمته للعالمة زينب بنت الشعرى وتلقيه العلم على يديها وإجازتها له، انظر أيضا طبقا الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكى ٨/ ١٠٥٦، مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعى ٤/ ١٤٥، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ٥/ ٣٧١.
(٣) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - ٢/ ٨٩ .
(٤) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : لابن تغرى بردى ٧/ ٣٥٤.

أخذ يتلقى علومه الأولى إذ حرص والده على أن يستدعى له الإجازات العلمية من كبار العلماء آنذاك.

فقد استدعى له إجازة من العالمة « زينب بنت الشعرى » سنة ٦١٠هـ وقد نص على ذلك فى أثناء ترجمته لها فصار له حق الرواية لما روته زينب عن الأعلام أو أجازوه لها عندما كانت تتلقى العلم عن علماء كبار، وتأخذ عنهم رواية وإجازة[١].

وفى أثناء ترجمته لرضى الدين أبى الحسن المؤيد محمد بن على بن حسن الطوسى النيسابورى، ذكر أن والده استدعى له إجازة أخرى من الطوسى المذكور، فكتب إليه هذا الأخير الإجازة من خراسان فى جمادى الآخر سنة ٦١٠هـ[٢].

وقد أشار إلى إجازة المؤيد الطوسى أصحاب كتب التراجم أمثال ابن شاكر الكتبى والصفدى وابن تغرى بردى[٣].

كما أجازة عدة علماء من نيسابور أمثال : عبد المعز بن محمد بن أحمد الهروى الصوفى[٤]، وأبى بكر القاسم بن عبد الله بن عمر المعروف بابن الصفار، النيسابورى الشافعى . والحسن بن أحمد القشيرى، ومحمد بن على بن عبد الله الحسينى[٥] .

(١) راجع وفيات الأعيان وأنباءأبناءالزمان« ترجمة العالمة زينب بنت الشعرى » ٢/ ٢٨٨.
(٢) وفيات الأعيان : ٤/ ٥٣٠ رقم الترجمة ٧٥٢ .
(٣) فوات والوفيات : ١/ ١١٠ والوافى بالوفيات : ٧/ ٣٠٨ والمنهل الصافى : ٢/ ٩٣.
(٤) الوافى بالوفيات : ٧/ ٣٠٨ والمنهل الصافى ٢/ ٩٣.
(٥) المنهل الصافى : ٢/ ٩٤ .

أهم شيوخ ابن خلكان :

الشيخ وأبو الفضل شرف الدين أحمد بن موسى بن منعة، وقد أشاد بهذا الفقيه فى معرض ترجمته له قال : « وكنت أحضر درسه وأنا صغير، وما سمعت أحدا يلقى الدروس مثله.. ولقد كان من محاسن الوجود، ما أذكره إلا وتصغر الدنيا فى عينى ..»[١].

كما سمع القراءة من شرف الدين أبو البركات مبارك بن أحمد بن غالب اللخمى، المعروف بابن المستوفى إلاربلى . وقد جاء ذلك فى معرض ترجمته له [٢].

وسمع الحديث من الشيخ أبى جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم بن عبد الله الصوفى البغدادى .

فقد صرح المؤلف بذلك فى معرض ترجمته لأبى الوقت عبد الأول بن عيسى السجزى بأنه سمع على بن المكرم كتاب « صحيح البخارى» بمدينة إربل وذلك فى بعض شهور سنة إحدى وعشرين وستمئة[٣]كذلك سمع الحديث بإربل من يوسف بن محمود بن يعقوب الشاوى المصرى الصوفى، وابن الجميزى [٤].

وقد تلقى دروس الأدب من الشيخ جمال الدين أبو المظفر

(١) وفيات الأعيان :١/ ١٢٤ رقم الترجمة ٤٥ .
(٢) وفيات الأعيان : ٤/ ١١ رقم الترجمة ٥٤٤ .
(٣) وفيات الأعيان : ٣/ ١٩٥ رقم لترجمة ٤٠٣ ،وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب :٥/ ٣٧١ ومرآة الجنان وعبرة البقظان : ٤/ ١٤٥ وفوات الوفيات : ١/ ١١٠.
(٤) المنهل الصافى : ٢/ ٩٣ .

عبد الرحمن محمد الواسطى - المعروف بابن السنينيرة.

وقد جاء ذلك فى معرض ترجمته للبهاء أبى السعادات أسعد بن يحيى السنجارى وقال : إنه نزل عنده بالمدرسة المظفرية بإربل فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة حيث كان يعقد مجالس أدبية يحضرها كل من له عناية بالأدب، وتجرى بينهم محاضرات ومذكرات لطيفة[1].

رحلة ابن خلكان إلى الموصل :

وفى سنة ٦٢٦هـ خرج ابن خلكان من إربل متجها إلى الموصل فوصلها فى نفس العام: وهناك لقى الفقيه الشافعى كمال الدين أبى الفتح موسى بن يونس بن منعة - فتردد إليه مرات عديدة، لما كان بينه وبين والده من المودة، ولم يطل بقاء ابن خلكان بالموصل فخرج منها إلى الشام فى بقية السنة المذكورة[2]. وأشار إلى تفقهه على الشيخ كمال الدين كل من ابن شاكر الكتبى، والصفدى ، وابن العماد الحنبلى ، ومحمد مرتضى الزبيدى، واليافعى ، وتاج الدين السبكى[3].

بينما يتحدث ابن خلكان عن نفسه فيقول : « لم يتفق لى الأخذ عنه لعدم الإقامة وسرعة الحركة إلى الشام»[4].

(١) وفيات الأعيان : ١/ ٢١٩ رقم الترجمة ٩٢ .
(٢) وفيات الأعيان : ٤/ ٥٠٦ رقم الترجمة ٧٤٧ .
(٣) فوات الوفيات : ١/ ١١٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧١. تاج العروس : ٧/ ١٣٦ (رحلك) مرآة الجنان : ٤/ ١٤٥، طبقات الشافعية : ٨/ ١٠٥٦.
(٤) وفيات الأعيان : ٤/ ٥٠٦.

وللتوفيق بين هذين القولين، أقول لعل ابن خلكان لقى الشيخ كمال الدين فى مدينة أخرى غير الموصل قد اتفق له الأخذ عنه فيها والله أعلم.

رحلة ابن خلكان إلى حلب :

وقد خرج ابن خلكان من الموصل فى سنة ٦٢٦ هـ فوصل إلى حلب فى السنة نفسها، وهناك لقى قاضى حلب بهاء الدين أبى المحاسن يوسف بن رافع المعروف بابن شداد[1] وأشار محمد مرتضى الزبيدى إلى ذلك بقوله : « أقام بحلب عند الشيخ أبى المحاسن يوسف بن شداد وتفقه عليه»[2].

وأخذ الفقه أيضا عن شيوخ أجلاء مثل الشيخ جمال الدين أبى بكر الماهانى ، ولما توفى الماهانى فى ثالث شوال سنة ٦٢٧ هـ تردد ابن خلكان على الشيخ نجم الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن على المعروف بابن الخباز، الموصل الفقيه : فقرأ عليه كتاب « الوجيز» للغزالى، ولكنه لم يتمه، فوصل إلى باب الإقرار« ولما توفى ابن الخبار فى السابع من ذى الحجة سنة ٦٣١ هـ بحلب، حضر ابن خلكان الصلاة عليه[3].

وهكذا بدأ ابن خلكان يتلقى العلم على شيوخ حلب المشهورين،

(١) وفيات الأعيان : ٥ ترجمة رقم ٨٤٢ .
(٢) تاج العروس : ٧/ ١٣٦ مادة خلك .
(٣) وفيات الأعيان : ٥ ترجمة رقم ٨٤٢ .

فمن خلال ترجمة المؤرخ عز الدين أبى الحسن على بن محمد، المعروف بابن الأثير صاحب كتاب « الكامل فى التاريخ » ذكر أنه لما وصل إلى حلب فى أوخر سنة ٦٢٦هـ كان ابن الأثير مقيما بها، فاجتمع به فوجده رجلاً مكملاً فى الفضائل وكرم الأخلاق، فلازم الترداد إليه ..»[1].

وقرأ الأدب على الشيخ موفق الدين يعيش بن على بن يعيش، المعروف بابن الصانع وابتدأ بكتاب « اللمع» لابن جنى فقرأ عليه معظمه وذلك فى أواخر سنة ٦٢٧هـ وما أتمه إلا على غيره لعذر اقتضى ذلك..»[2].

وقرأ النحو بحلب على أبى البقاء يعيش بن على»[3].

وقرأ النحو أيضا على تاج الدين أحمد بن هبة الله بن سعد الله بن سعيد، المعروف بابن الجيرانى ، فى جامع حلب..»[4].

وفى ترجمته لأمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد، المعروف بابن التلميذ، يعد ابن خلكان موفق الدين أبا محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى، أحد شيوخه[5].

رحلة ابن خلكان إلى دمشق :

(١) وفيات الأعيان : ٣/ ٣٠٥ ترجمة رقم ٤٦٠.
(٢) وفيات الأعيان : ٥/ ٤١١ ترجمة رقم ٨٣٣.
(٣) طبقات الشافعية ٨/ ١٠٥٦، وتاج العروس : ٧/ ١٣٦ - مادة خلك.
(٤) وفيات الأعيان : ٥/ ٥٨٠ ترجمة ابن الجيران رقم ٨٥٠ .
(٥) وفيات الأعيان : ٥/ ٦٣ ترجمة رقم ٧٧٩ .

ولم يلبث ابن خلكان أن اتجه إلى دمشق سنة ٦٣٣هـ فسمع من تقى الدين أبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى، المعروف بابن الصلاح فأخذ عنه علوم الفقه والحديث والتفسير وانتفع به .[1].

وفى دمشق اجتمع بالفقيه الحنفى ركن الدين أبى حامد محمد بن محمد العميرى السمرقندى واجتمع مرات عدة بمحمود بن أحمد بن محمود الحصيرى، وكان من أعيان العلماء»[2].

وبعد مرور عام رجع إلى حلب وأقام بها سنين للاشتغال بالعلم فالتقى برفيقه عون الدين أبا الربيع سليمان بن بهاء الدين عبد المجيد بن العجمى الحلبى[3].

كما التقى بأبى المحاسن شهاب الدين يوسف بن إسماعيل، لمعروف بالشواء، وكانت تعقد بينهما اجتماعات فى مجالس يتذاكران فيها الأدب وينشده أبو المحاسن كثيرا من شعره.. ومازالت الصحبة بينهما حتى توفى ابن الشواء فى يوم الجمعة تاسع عشر المحرم سنة ٦٣٥هـ[4].

رحلة ابن خلكان إلى القاهرة :

وفى سنة ٦٣٦هـ (١٢٣٨م) غادر ابن خلكان دمشق واتجه إلى القاهرة فأفاد من علمائها فى مختلف التخصصات - كم سنرى - وأخذ

(١) راجع وفيات الأعيان : ٣/ ٢١١ رقم الترجمة ٤١١، وطبقات الشافعية : ٣/ ١٠٥٦.
(٢) وفيات الأعيان : ٤/ ٨١، ٩٠ رقم الترجمة ٦٠٣.
(٣) وفيات الأعيان : ٥ / ٢٠٩، ٢١٠ رقم الترجمة ٨٠٩.
(٤) وفيات الأعيان : ٥/ ٥٧٩ وما بعدها رقم الترجمة : ٨٥٠ .

مكانة علية إذ تولى عدة مناصب مرموقة. وإلى ذلك أشار ابن شاكر الكتبى والصفدى بالقول : دخل ابن خلكان مصر وسكنها مدة، وتأهل بها، وناب فى القضاء عن القاضى بدر الدين السنجارى[1].

وأشار إلى ذلك أيضا ابن كثير بقوله : ناب ابن خلكان فى الحكم بالقاهرة مدة طويلة عن بدر الدين السنجارى[2].

وقال بروكلمان : إن ابن خلكان ذهب إلى القاهرة عام ٦٣٦هـ (١٢٣٨م) وتولى نيابة قضائها[3].

كما التقى بصديقه الشاعر الأديب ابن مطروح [4] وجرت بينهما مكاتبات ومجالس جرت فيها مذكرات أدبية لطيفة وأنشده ابن مطروح أكثر ديوان شعره.

والتقى ابن خلكان بالقاهرة أيضا ببهاء الدين زهير [5] واجتمع به

(١) فوات الوفيات : ١١٠، الوافى بالوفيات : ٧/ ٣٠٨ .

(٢) البداية والنهاية : ١٣/ ٢٣٩ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية : ١/ ٢٧٥ .

(٤) ابن مطروح: هو أبو الحسن يحى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين ابن مطروح ملقب جمال الدين من صعيد مصر عمل فى خدمة السلطان الملك لصالح أبى افتح أيوب حتى صار ناظراً للخزانة سنة ٦٣٩هـ - جمع الفضل والمروءة والأخلاق وله ديوان شعر، وكانت وفاته بمصر سنة ٦٤٩ هـ ودفن بالمقطم . وفيات الأعيان : ٥/ ٢٢٢، ٢٢٣ .

(٥) هو أبو الفضل زهير بن محمد على بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبى، العنكى الملقب بهاء، الكاتب من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وله ديوان شعر ولد بمكة سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ومات فى القاهرة سنة ست وخمسين وستمائة ودفن بالقرب من الإمام الشافعى من الجهة القبلية: راجع وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٧-٢٨٢ والنجوم الزاهرة :٧/ ٦٣، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٦.

وأنشده البهاء كثيراً من شعره، وأجازه رواية ديوانه وهكذا قد حظى عالمنا الجليل فى الديار المصرية بصحبة الكثير من الأدباء والاستفادة منهم .

كما حظى بصحبة الكثير من العلماء المحدثين والإفادة منهم ومن جملتهم شيخه ركى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله المنذرى، صاحب كتاب « التكملة لوفيات النقلة» الذى تأثر به ابن خلكان من حيث تحديد سنة وفة الذين ترجم لهم[1].

وقد ذكره بن خلكان فى عدة مواضع من كتابه[2] ولقى ابن خلكان بمصر جماعة من أصحاب ابن برى عالم النحو واللغة والرواية، وأخذ عنهم رواية وإجازة ولم يسم أحدًا منهم[3] .

ولقى أيضا ابن بركات الخشوعى ، فكن هذا الأخير يتردد عليه فى كثير من الأوقات، فأجازه جميع مسموعاته وإجازاته من أبيه بركات، كما اجتمع بجماعة من أصحاب بركات المذكور، وسمع عليهم

(١) المنذرى : إمام فى اللغة والفقه والتاريخ محدث مصر فى زمانه. توفى بمصر سنة ٦٥٦هـ، ترجمته فى البداية والنهاية ١٣/ ٢١٢، وفوات الوفيات: ٢/ ٣٦٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٣، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٧، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٠٨، والأعلام ٤/ ٣٠، ووفيات الأعيان ١/ ٢٢.

(٢) وفيات الأعيان : ترجمة السلفى رقم ٤٤، وترجمة ابن الزبير ٦٥: (ترجمة ابن طباطبا رقم ٣٤٢، وترجمة الحافظ المقدسى رقم ٤٣١، وترجمة الحافظ ابن عساكر رقم ٤٤١).

(٣) وفيات الأعيان : ترجمة ابن برى رقم ٣٥٣.

(٤) وفيات الأعيان : ١/ ٢٦٢ رقم الترجمة ١١١.

وأجازوه[٤].

ابن خلكان قاضى دمشق :

وفى سنة ٦٥٩ هـ اختار السلطان أبو الفتح الظاهر بيبرس ابن خلكان ليكون قاضياً للقضاة فى ديار الشام، ذكر فى خاتمة كتابه أنه خرج من القاهرة يوم الأحد سابع شوال سنة ٦٥٩ هـ ودخل دمشق يوم الإثنين سابع ذى القعدة من السنة المذكورة، وأقام بها عشر سنين كاملة لا تزيد يومًا ولا تنقص يوماً[١].

قال ابن تغري بردى : « إن ابن خلكان ولى قضاء دمشق مرتين الأولى فى حدود الستين وستمائة، وقدم القاهرة»[٢].

وروى ابن كثير فى حوادث سنة ٦٦١هـ أن الظاهر بيبرس عزل ابن سنى الدولة عن قضاء دمشق وولى مكانه ابن خلكان وأضاف إليه مع القضاء نظر الأوقاف، والجامع والمارستان ، وتدريس سبع مدارس»[٣].

وظل ابن خلكان منفرداً فى القضاء بدمشق حتى سنة ٦٦٤هـ حيث ورد عليه الخبر بأن برز مرسوم من الظاهر بيبرس بأن يكون بدمشق أربعة قضاة، من كل مذهب سنى قاضى فأصبح ابن خلكان قاضى قضاة الشافعية، وشمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا قاضى قضاة الحنفية،

(١) راجع خاتمة الكتاب ٥/ ٦٠٤.
(٢) النجوم الزاهرة : ٧/ ٣٥٤ .
(٣) البداية والنهاية : ١٣/ ٢٣٧-٢٣٩.

وشمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبى عمر قاضى قضاة الحنابلة، وزين الدين عبد السلام الزواوى قاضى قضاة المالكية، وكان هؤلاء القضاة، قبل ذلك نوابا لابن خلكان[١].

واستمر ابن خلكان فى منصبه عشر سنوت كاملة حتى عزله الظاهر بيبرس فى يوم الأربعاء خامس عشر شوال سنة ٦٦٩هـ ثم توجه ابن خلكان إلى مصر فى بكرة نهار الخميس ثامن ذى القعدة من السنة المذكورة[٢].

وأقام ابن خلكان بالقاهرة نحواً من سبع سنين، اشتغل فى أثنائها بالتدريس فى المدرسة الفخرية[٣].

ثم أعيد إلى تولى منصب قاضى القضاة بدمشق سنة ٦٧٧ هـ، بعد عزل دام سبع سنين[٤].

وسُرَّ الناس بعوده ومدحته الشعراء بعدة قصائد ، من ذلك ما أنشده الشيخ رشيد الدين عمر بن إسماعيل بن مسعود ابن سعد بن سعيد الفارقى فقال :

(١) البداية والنهاية : ١٣/ ٢٤٦- ٣٠١- المنهل الصافى : ٢/ ٩٠، فوات الوفيات : ١/ ١١٠، الوافى بالوفيات : ٧/ ٣٠٩.
(٢) راجع وفيات الأعيان (خاتمة الكتاب) ٥/ ٦٠٤-٦٠ والبداية والنهاية ٣/ ٢٥٩-٢٦٠ وفوات الوفيات : ١/ ١١١ والوافى بالوفيات : ٧/ ٣٠٩، وطبقات الشافعية: ٨/ ١٠٥٦. ومرآة الجنان وعبرة اليقظان : ٤/ ١٤٥، وشذرات اذهب فى أخبار من ذهب : ٥/ ٣٧١.
(٣) دائرة المعارف الإسلامية : ١/ ٢٧٥ .
(٤) البداية والنهاية : ١٣/ ٢٧٩.

أنت فى الشام مثل يوسف فى مصـ ∴ ـر وعندى أن الكرام جنانس
ولكل سبع شداد وبعد الـ ـ ∴ ـسبع عام فيه يغاث الناس (١)

وقال فيه أيضا نور الدين على بن مصعب :

رأيت أهل الشام طرا ∴ ما فيهم قط غير راض
أنعم الخير بعد شر ∴ فالوقت بسط بلا انقباض
وعوضوا فرحة بحزن ∴ قد أنصف الدهر فى التقاضى
وسرهم بعد طول غم ∴ قدوم قاض وعزل قاض
فكلهم شاكر وشاكـ ـ ∴ ـل حال مستقبل وماض (٢)

وأضيف إلى ابن خلكان عدة مدارس قام بالتدريس فيها كالمدرسة الظاهرية والنجيبية والأمينية وغيرها، وظل فى منصب القضاء حتى عزل عنه فى سنة ٦٨٠هـ.

ولزم داره إلى أن توفى فى رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة بالمدرسة النجيبية بدمشق ودفن بقاسيون»(٣).

(١) البداية والنهاية : ٢٧٩-٢٨٠، فوات الوفيات : ١/ ١١١، الوافى بالوفيات: ٧/ ٣٠٩-٣١٠، النجوم الزاهرة : ٧/ ٣٥٤.
(٢) فوات الوفيات : ١/ ١١١- الوافى بالوفيات : ٧/ ٣١٠ - المنهل الصافى ٢/ ٩٢، النجوم الزاهرة : ٧/ ٣٥٤-٣٥٥- البداية والنهاية : ٣-/ ٢٨٠.
(٣) راجع المنهل الصافى:٢/ ٩٢ فوات الوفيات ١/ ١١١،الوافى بالوفيات٧/ ٣١٠،معجم الأعلام:١/ ٢٢٠.

وقد رثاه شهاب الدين أحمد بن غانم، كاتب الإنشاء بقوله :

ياشمس علوم فى الثرى قد غابت∴ كم نبت عن الشمس وهى ما نابت
لم تأت بمثلك الليالى أبداً∴ إما قصرت عنه وإما هابت (١)

ابن خلكان الشاعر:

وقد أوردت بعض كتب التراث شيئا من شعر ابن خلكان وذلك ككتاب« فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى » والوافى بالوفيات» لصلاح الدين الصفدى. والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى وكذا المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكى وغيرها.

ولقد كان ابن خلكان من شعراء عصره الذين حباهم الله تعالى موهبة الشعر والقدرة على نظمه، وساعده على تنمية هذه الموهبة ما قرأه من الشعر فى مختلف عصوره وتنوع فنونه، بالإضافة إلى قوة حفظه ورهافة حسه الذى أعانه على اختيار الكثير من الأشعار وحفظها والتأثر بها.

يذكر ابن قاضى شبهة، نقلاً عن الشيخ تاج الدين الفزارى وغيرهو أن ابن خلكان كان يحفظ سبعة عشر ديواناً من الشعر(٢).

وعندما ترجم بن خلكان للمرزبانى ذكر فى أثناء الترجمة أنه، أى ابن خلكان حفظ جميع ديوان يزيد بن معاوية بن أبى سفيان لشدة تعلقه به،

(١) الوافى بالوفيات : ٧/ ٣١٠ .
(٢) طبقات الشافعية الكبرى ، ص : ٢١٠ .

وذلك فى عام ٦٣٣هـ بمدينة دمشق ، وعرف صحيحه من المنسوب إليه الذى ليس لـه ، وتتبعه حتى ظفر بصاحب كل بيت إذ أن أول من جمع هذا الديوان هو المرزبانى، وهو صغير الحجم يدخل فى مقدار ثلاث كراريس، ثم جمعه من بعده جماعة وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست له، ولإعجابه بشعر يزيد، رأى أنه ، مع قلته فى غاية الحسن (١).

والمتأمل فى شعر ابن خلكان يجده تعبيرا عن خواطره الذاتية، ومشاعره الفياضة التى تنم عن عاطفة قوية تجاه من يحب .

وقد شهد له كثير من العلماء بالبراعة العلمية والأدبية .

قال عنه صاحب شذرات الذهب نقلاً عن الذهبى : « كان إماماً فاضلاً متقناً عارفاً بالمذهب، حسن الفتاوى ، جيد القريحة، بصيراً بالعربية، علامة فى الأدب والشعر، وأيام الناس، كثيرا الاطلاع، حلو المذاكرة، وافر الحرمة» (٢).

وقال فيه الصفدى : « وكان فاضلاً بارعاً، متفنناً عارفاً بالمذهب، حسن الفتاوى، جيد القريحة، بصيراً بالعربية، علامة فى الأدب والشعر، وأيام الناس، كثيرا الاطلاع ، حلو المذاكرة ، وافر الحرمة، فيه رياسة كبيرة»(٣).

(١) ونيات الأعيان : ٤/ ١٦٢ ترجمة المزرانى رقم ٦٤٧ .
(٢) شذرات الذهب : ٥/ ٣٧١ .
(٣) الوانى بالوفيات : ٧/ ٣٠٨ .

ومثل ذلك قاله ابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات (١).

ونعته ابن تغرى بردى بقوله : « كان إماماً عالماً فقيهاً أديباً شاعراً مفتنا، مجموع الفضائل ، معدوم النظير فى علوم شتى، حجة فيما ينقله، محققا لما يورده، منفرداً فى علم الأدب والتاريخ»(٢).

هذا ، وشعر ابن خلكان الذى وصل إلينا - فى معظمه - يدور حول موضوع واحد هو الغزل .

وقد بث فيه مشاعر اللوعة والحنين وشدة الشوق تجاه المحبوب، كما ضمن غزله وصفاً حسياً للمحبوب وما فيه من جمال وسحر واستواء قامة.. إلى غير ذلك من الصفات الحسية .

يروى ابن شاكر الكتبى والصفدى: أنه كان له ميل إلى بعض أولاد الملوك، وله فيه أشعار رائقه، قال إنه أول يوم زاره بسط له الطرحة وقال له : ماعندى أعز من هذه ، طأ عليها، ولما فشا أمرهما، وعلم به أهله منعوه الركوب. فقال ابن خلكان (٣) .

فى هذا المعنى القصيدة التالية :

(١) راجع فوات الوفيات : ١/ ١١٠.
(٢) النجوم الزاهرة : ٧/ ٣٥٤.
(٣) فوات الوفيات : ١/ ١١٢-١١٣، الوافى بالوفيات : ٧/ ٣١١-٣١٢ .

يامن كلفت به فعذب مهجتى ∴ رفقا على كلف الفؤاد معذب
إن فاته منك اللقاء فإنه ∴ يرضى بلقيا طيفك المتأوب
قسما بوجدى فى الهوى وبحرقتى ∴ وبحيرتى وتلهفى وتلهبى
لو قلت لى جد لى بروحك لم أقف ∴ فيما أمرت وإن شككت فجرب
مولاى هل من عطفة تصغى إلى ∴ قصصى وطول شكايتى وتعتبى
قد كنت تلقانى بوجه باسم ∴ واليوم تلقانى بوجه مقطب(١)
ماكان لى ذنب إليك سوى الهوى ∴ فعلام تهجرنى إذا لم أذنب
قل لى بأى وسيلة أدلى بها ∴ إن كنت تبعدنى لأجل تقربى
وحياة وجهك وهو بدر طالع ∴ وجمال طرتك (٢)التى كالغيهب(٣)
وفتور مقلتك التى قد أذعنت ∴ لكمال بهجتها عيون المعتب
وبين مبْسمك النقى الواضح الـ ∴ ـعذب الشهى اللؤلئى الأشنب(٤)
وبقامة لك كالقضيب ركبت من ∴ أخطارها فى الحب أصعب مركب
لو لم أكن فى رتبة أرعى لها الـ ∴ ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سترى فى هواك ولذلى ∴ خلع العذار ولج فيك مؤنبى
قد خاننى صبرى وضاقت حيلتى ∴ وتقسمت فكرى وعقلى قد سبى

(١) مقطب: أى زوى ما بين عينيه وكلح - القاموس المحيط مادة (قطب) فصل القاف باب الباء

(٢) الطرة : جمال الشارب لسان العرب مادة طر : ٨/ ١٤١.
(٣) الغيهب : شدة السواد ١/ ١١١ القاموس المحيط فصل الغين باب الياء .
(٤) الأشنب : برد وعذوبة فى الزسنان- لسان العرب مادة : شنب : ١/ ٢٠٨ .

ولقد سمحت بمهجتى وحشاشتى ∴ وبحالتى ووجاهتى وبمنصبى
حتى خشيت بأن يقول عواذلى ∴ قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى(١)
فارحم فديتك حرقة قد قاربت ∴ كشف القناع بحق ذياك النبى
لا تفضحن بحبك الصب الذى ∴ جرعته فى الحب أكدر مشرب(٢)

يقول ابن شاكر الكتبى نقلاً عن القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزى :
«كان الذى يهواه القاضى شمس الدين ابن خلكان الملك المسعود بن الزاهر صاحب حماة، وكان قد تيمه حبه، وكنت أنا عنده ى العادلية، فتحدثنا فى بعض الليالى إلى أن راح الناس من عنده ، فقال : نم أنت هاهنا، وألقى على فروة قرض، وقام يدور حول البركة فى بيت العادلية، ويكرر هذين البيتين، إلى أن أصبح، وتوضينا، وصلينا، والبيتان المذكوران :

أنا والله هالك ∴ آيس من سلامتى
أو أرى القامة التى ∴ قد أقامت قيامتى(٣)

والأن يمكننا أن نعود إلى قصيدة ان خلكان سالفة الذكر لنتأمل ما فيها من

(١) طبقات الشافعية الكبرى : ٨/ ١٠٥٧.
(٢) فوات الوفيات : ١/ ١١٢-١١٣ مع تغيير فيها الوافى بالوفيات : ١/ ٧/ ٣١١-٣١٢ مع تغيير فيها .
(٣) فوات الوفيات : ١/ ١١٣.

لمسات فنية، ودفقات شعورية إذ يظهر لنا بوضوح الصدق العاطفى، والشعور الفياض الذى غمر الشاعر تجاه محبوبه فابن خلكان أحب الفتى وهام به ، وذلك ظاهر من خلال تعبيراته فى ثنايا القصيدة كقوله :

يامن كلفت به فعذب مهجتى ∴ رفقاً على كلف الفؤاد معذب

وكقوله :

لو قلت لى جد لى بروحك لم أقف ∴ فيما أمرت وإن شككت فجرب

ثم يتمنى عليه أن يصغى إليه فيسمع شكايته ويرفق به ويعذره .

ثم يقابل بين حالتين إحداهما ماضية تمثل أيام الوصل الجميلة، والأخرى حاضرة تمثل ما آل إليه حاله من جفوة وفراق فى أسلوب جميل أخاذ وذلك فى قوله :

قد كنت تلقانى بوجه باسم ∴ واليوم تلقانى بوجه مقطب

فهو يقسم بوجهه الذى كالبدر الطالع وجمال شاربه الأسود ثم يتابع الحديث عن أوصافه الجسدية التى هى أقرب إلى الغزل النسوى .. وذلك كقوله :

وفتور مقلتك التى قد أذعنت ∴ لكمال بهجتك عيون المعتب

وبيان مبسمك النقى الواضح الـ ∴ ـعذب الشهى اللؤلئى الأشنب

وبقامة لك كالقضيب ركبت من ∴ أخطارها فى الحب أصعب مركب

فالمقل فاترة، والثغر باسم عذب جميل، والقامة معتدلة دفعته إلى ركوب المخاطر، ثم يعاود الحديث فيصف حالته الداخلية وما يعتصره من ألم الفراق، وهجر المحبوب فيصرح بأن الذى يحول بينه وبين إعلان ما يخفيه بين جوانحه إنما هو مكانته الاجتماعية ودرجته العلمية، وحفاظه على العهد القديم وذلك فى قوله :

لو لم أكن فى رتبة أرعى لها الـ ∴ ـعهد القديم صيانة للمنصب

لهتكت سترى فى هواك ولذلى ∴ خلع العذار ولج فيك مؤنبى

ثم ترتفع عنده درجة الصبابة وشدة الوجد فيقول :

قد خاننى صبرى وضاقت حيلتى ∴ وتقسمت فكرى وعقلى قد سبى

ولقد سمحت مهجتى وحشاشتى ∴ وبحالتى ووجاهتى وبمنصبى

حتى خشيت بأن يقول عواذلى ∴ قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى

فالقصيدة كما ترى تبرز حالة عاشق ولهان، قد هيمن عليه عشقه فسلبه لبه، مما جعله ينحدر نحو الجنون، ومن ناحية أخرى فالقصيدة مفعمة بالصدق العاطفى نتيجة صدق التجربة التى عاشها الشاعر مع جودة فى التعبير والتصوير، ورقة بالغة فى المشاعر والأحاسيس وما يتحقق ذلك إلا لشاعر منح موهبة أصيلة وذوق رفيع .

وهذه قصيدة أخرى من القصائد التى نظمها ابن خلكان فى الغزل الذى تشع منه الرقة التى تعكس ما فى نفس الشاعر من الحب الصادق والغزل العفيف مع إضفاء صفات الجمال الحسى والمعنوى على شخص المحبوبة المهاجرة والتى كانت له معها ذكريات طيبة وأوقات جميلة سرعان ما تلاشت وأصبحت من الماضى .

والآن أعرض نص القصيدة لنرى ما فيها من جمال الأسلوب وتناسق فى الصور جعلها تخرج فى لوحة فنية تنطق بالحركة والحياة .

قال رحمه الله [1]:

أى ليل على المحب أطاله ∴ سائق الظعن يوم زم جماله
يزجر العيس طاويا يقطع المهـ ∴ ـمه عسفا سهوله ورماله
أيها السائق المجد ترفق ∴ بالمطايا فقد سئمن الرحالة
وأنخها هنيهة وأرحها ∴ قد براها فرط السرى والكلاله
لا تطل سيرها العنيف فقد بر ∴ ح بالصب فى سراها الإطالة
قد تركتم وراءكم حلف وجد ∴ باديا فى محلكم إطلاله
يسأل الربع عن ظباء المصلى ∴ ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب ∴ غير أن الوقوف فيها علاله
هذه سنة المحبين يبكو ∴ نَ على كل منزل لا محالة

(١) فوات الوفيات : ١/١١٦ .

ياديار الأحباب لا زالت الأد ∴ مع فى ترب ساحتيك مذاله
وتمشى النسيم وهو عليل ∴ فى مغانيك ساحبا أذياله
أين عيش مضى لنا فيك ما أسـ ∴ ـرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الشباب طلق نضير ∴ والتصابى غصونه مياله
ولا فيك طيب أوقات أنس ∴ ليتنا فى المنام نلقى مثاله
وبأرجاء جوك الرحب سرب ∴ كل عين تراه تهوى جماله
من فتاة بديعة الحسن ترنو ∴ من جفون لحظها مغتاله
ورخيم الدلال حلو المعانى ∴ تشنى أعطافه مختاله
ذو قوام تود كل غصن البـ ∴ ـان لو أنها تحاكى اعتداله
وجهه فى الظلام بدر تمام ∴ وعذاراه حوله كالهاله
ظبية تبهر العيون جمالاً ∴ وغزال تغار منه الغزال
يا خليلى إذا أتيت ربى الجز ∴ ع وعاينت روضه وظلاله
قف به ناشداً فؤداى فلى ثم ∴ فؤاد أخشى عليه ضلاله
وبأعلى الكثيب بيت أغض ∴ الطرف عنه مهابة وجلاله
كل من جئته لأسأل عنه ∴ أظهر العى غيرة وتباله
أنا أدرى به ولكن صونا ∴ أتعامى عنه وأبدى جهاله
منزل حه على قديم ∴ فى زمان الصبا وعصر البطاله
ياعريب الحمى اعذرونى فإنى ∴ ما تجنبت أرضكم عن ملاله
حاش لله غير أنى أخشى ∴ من عدو يسئ فينا المقالة

فتأخرت عنكم تلـ ما من ∴ طيفكم فى المنام يهدى خياله
أتمنى فى النوم زور خيال ∴ والأمانى أطماعها قتاله
يا أهيل النقا وحق ليالى الوصـ ∴ ـل ما صبوتى عليكم ضلاله
لى مذ غبتم عن العين نار ∴ ليس تخبو وأدمع هطاله
فصلونا إن شئتم أو فصدوا ∴ لا عدمناكم على كل حاله

وهكذا بدأ الشاعر قصيدته مقتفيا أثر الأقدمين فى البداية بالنسيب الشاكى والغزل الحزين المتشوق إلى المحبوبة الراحلة. نرى ذلك فى تعجبه من طول الليلة التى تهيأ الركب فيها للرحيل ثم يوصى سائق المطايا بالتمهل فى السير رفقا بالمطايا ومن عليها ثم يستعيد ذكرياته الجميلة فى الأماكن التى ظغنت منها المحبوبة، ويتمنى أن ينعم بذكرى هذه الأوقات الطيبة ولو فى طيف المنام ثم ينتقل إلى الوصف الحسى لمفاتن محبوبته الظاعنة فيصورها فى أجمل صوره وأبهاها.

فهى بديعة الحسن، جميلة النظرات، ذات دلال ، تتخذ من الحياء وشاحًا يزينها ، معتدلة القوام ، وجهها كبدر التمام :

ظبية تبهر العيون جمالاً ∴ وغزال تغار منه الغزالة

والقصيدة كما ترى تمثل تجربة شعرية صادقة فدلالة القصيدة توحى بالحب الصادق والعاطفة الجياشة وقد وفق الشاعر فى رسم الصورة حيث

انتقى الألفاظ المعبرة عن حالته العاطفية الغامرة وصاغها فى جمل ذات إيحاءجميل ودلالة قوية مؤثرة تعبر عن الحالة الشعورية التى عاشها الشاعر وتساهم فى رسم لوحة فنية ناطقة للمحبوبة ما أضفاه عليها من لمسات جمالية تستحوذ على لب المتلقى .

وبذلك يمكن أن تندرج القصيدة تحت لواء الوحدة العضوية - كما يرى النقد الحديث .

وهذه أبيات يعاتب فيها ابن خلكان حبه الذى لم يحفظ العهد ولم يراع أسباب المودة التى نعما بها فى الماضى القريب .

والآن نستعرض النص لنرى ما فيه من عتاب رقيق وبث لمشاعر اللوعة والأسى وانقطاع الأمل فى الوصل ثانية قال رحمه الله :

أيا غاداً خانت موثيق عهده ∴ لقد جُرْتَ فى حكم الغرام على الصب
وأقصيته من بعد أنس وصحبة ∴ وما هكذا فعل الأحبة والصحب
فلله أيام تقضت حميدة ∴ بقربك واللذات فى المنزل الرحب
وإذا أنت فى عينى ألذ من الكرى ∴ وأشهى إلى قلبى من البارد العذب
فلهفى على ذاك الزمان الذى غدت ∴ عليه دموع العين دائمة السكب
ومذ صرت ترضينى يقول منمق ∴ وتظهر لى سلما أشد من الحرب
ثنيت عنانى عن هواك زهادة ∴ وإن كنت فى أعلى المراتب من قلبى

لإنى رأيت القلب عندك ضائعا ∴ تعذبه كيف اشتهيت بلا ذنب
ولم تحفظ الود الذى هو بيننا ∴ ولم ترع أسباب المودة والحب
ولا أنت فى قيد المحب إذا غدا ∴ تقلبه الأشواق جنبا إلى جنب
ولا أنت ممن يرعوى لمقالتى ∴ فأشفى قلبى بالشكية والعتب
ولا رمت منك القرب إلا جفوتنى ∴ وأبعدتنى حتى يئست من القرب
وأصغيت للواشي وصدقت قوله ∴ وضيعت ما بينى وبينك بالكذب
فلم يق لى والله فيك إرادة ∴ كفانى الذى قاسيته فيك من عجب
ولا لى فى حبيك ما عشت رغبة ∴ أبى الله أن تسبى فؤادى أو تصبى
ومن ذا الذى يقوى على حمل بعض ما ∴ تجرعه بالذل من خلقك الصعب
فلا ترج منى بعد ذا حسن صحبه ∴ فحسبى سوا بعض ما قلته حسبى
فلا تعتبنى قد قطعت مطامعى ∴ وخفت حتى فى الرسائل والكتب[1]

ويبدو أن الجو النفسى الذى عاشه الشاعر مع أحبته كان جو فراق ولوعة وحرمان.

وهذه مقطوعة شعرية يعاتب فيها ابن خلكان حبه الذى هجره وجفاه بسبب الوشاية ويتمنى عليه أن يزوره فى الحلم .

لنقرأ النص ونرى عتابه الرقيق ، قال :

أعديتنى بالجوى يافاتر المقل ∴ فصح وجدى على ما بى من العلل

(١)فوات الوفيات : ١/ ١١٧-١١٨.

وملت عنى إلى الواشى فلا عجب ∴ والغصن مازال مطبوعا على الميل
يا واحد الحسن عدنى زورة حلما ∴ وها يدى إن نومى قد جفا مقلى
ياجيرة بأعالى الخيف من إضم ∴ خيبتم بجفاكم فى الهوى أملى
وماتم بجميل الصبر عن دنف ∴ أجل ما يتمنى سرعة الأجل
تجرى على الخد مذ غبتم مدامعه ∴ وما عسى ينفع الباكى على طلل[1]

هذا، ومن شعر ابن خلكان فى التضرع إلى الله تعالى وطلب المغفرة، قوله:

يارب، إن العبد يخفى عيبه ∴ فاستر بحلمك مابدا من عيبه
ولقد أتاك وماله من شافع ∴ لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه[2]

هذا وليس بين أيدينا ديوان شعر لابن خلكان اللهم إلا هذه القصائد والمقطوعات التى وردت فى كتب التراجم وسبقت الإشارة إليها وإنها لتشهد لابن خلكان بالجودة والتألق فى عالم الشعر حيث البساطة والوضوح، وجمال التعبير، والبعد عن التكلف، والمعانى المعبرة والمشاعر النبيلة، والأخلاق الكريمة التى يغذيها إيمانه المتين وعدالته فى القضاء الأمر الذى جعل شعره الغزلى يمكن أن يدرج تحت قائمة الغزل العذرى نظرا لاحتوائه على خصائص الحب العذرى فشعره يصدر عن عاطفة مشبوبة وانفعال عارم

(١) فوات الوفيات : ١/ ١١٧.
(٢) فوات الوفيات : ١/ ١١٧ والمنهل الصافى ٢/ ٩٤، النجوم الزاهرة : ٧/ ٣٥٥ .

وشعريتميز بوحدة الغرض فكل بيت من أبيات القصيدة ذو علاقة مباشرة بالموضوع وشعره يتميز بالعفة ولقد انعكس العفاف النفسى والعاطفى على التعبير فلا توجد عبارة تشير إلى الشهوة والتعلق الجسدى العابر وإنما يتراوح الشعور بين الأمل والرجاء فى رؤية المحبوب ولو فى طيف المنام مع التمسك بالفضيلة والحفاظ على العهد القديم لذلك كله جاءت أشعاره رائقة سهلة تنساب فى النفس انسياباً .

* * *

موضوع الكتاب

وقد ضمن هذا الكتاب تاريخ جماعة من الفضلاء المشهورين عددهم ثمانمائة وستة وعشرون، فيهم الملوك والأمراء والوزراء والشعراء والكتاب والعلماء، والمؤلفون والأطباء والفلاسفة، بالإضافة إلى كل من له شهرة ونباهة من رجال ونساء مسلمين وغير مسلمين .

هذا، ولم يترجم للصحابة والتابعين إلا لقليل منهم ممن تدعو الحاجة إلى ذكرهم لمعرفة أحواهم، ولا لأحد من الخلفاء اكتفاء بالمؤلفات التى تقدمت زمن المؤلف، وقد تناولتهم بالذكر، من مثل كتاب السيرة النبوية لابن هشام المصرى، وحلية الأولياء فى طبقات الأصفياء لأبى نعيم الأصفهانى وغيرهما.

وقد كانت كتب التراجم قبل (وفيات الأعيان) تقتصر على نوع معين من الناس لا تعدوه، كالصحابة أو التابعين أو المفسرين أو المحدثين أو الشعراء أو الفقهاء أو النحاة أو أعلام بلد معين .

فلما ألف كمال الدين الأنبارى المتوفى سنة (٥٧٧ هـ - ١١٨١م) كتابه (نزهة الألباء فى طبقات الأدباء) ، اختط لمؤلفه منهجاً مغايراً لكتب التراجم التى سبقته، إذ جعل ترتيب الأعلام طبقا لتاريخ الوفاة وليس على حروف الهجاء .

كما أنه ترجم لأناس لا تجمعهم رابطة معينة من ثقافة أو زمن أو إقليم.. وإن كان قد أعطى علماء اللغة والأدب اهتماماً أكثر من غيرهم .

ثم جاء (ياقوت الحموى) المتوفى سنة (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨م) فألف

كتاب (معجم الأدباء) أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ترجم فيه لمئات من المؤلفين فى اللغة والنحو القراءات والتاريخ والأدب وقد رتب أسماءهم ترتيباً هجائياً دقيقاً، وهو فى ذلك يراعى الحرف الأول وما بعده إلى الحرف الرابع، فإذا اتفق الاسمان رجع إلى اسم الوالد ، وعنى بزمن الميلاد والوفاة قدر جهده.

أما ابن خلكان فى كتابه (وفيات الأعيان) فلم يقصر كتابه على ذكر طائفة معينة من المتوفين بحيث يجمعهم علم أو وصف ، أو على طوائف معينة يجمعها إقليم أو عصر، بل جعله عاماً يضم كل ذى شهرة، كما هو واضح من تسميته للكتاب بـ (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) .

منهجه فى تأليفه :

(١) التزم فى كتابه الترتيب الهجائى ، فبدأه بالأعلام التى أولها همزة وختمه بالأعلام التى أولها ياء، فإبراهيم قبل جمال الدين، وعبد العزيز قبل محمود وقد راعى أول الاسم وثانية فقط ولهذا ذكر مسلم بن الحجاج النيسابورى قبل مسعود بن مسعود وذكر هذا قبل مسعود بن عبد العزيز، بل لم يراع الحرف الثانى أحياناً، فقدم همام بن غالب بن صعصعة على هلال بن الحسن الصابى ولم يراع اسم الأب إذا اتفقت أسماء المترجم لهم، فقدم الوليد بن عبيد البحترى على الوليد بن مطر بن الصلب الشيبانى لكن هذا الترتيب الهجائى على مافيه أسهل من الترتيب على سنى الوفاة وأيسر فى العثور على العلم المراد، ولكنه لم يسلم من مشقة

يعانيها الباحث؛لأن ابن خلكان لم يهتم بذكر الكنى والألقاب ، كما فعل أكثر مؤلفى المعاجم التاريخية فى ذلك العصر، وجعل الأعلام هى الأساس فذكر أبا تمام فى حرف الحاء لأن اسمه حبيب، وابن سينا فى حرف الحاء لأن اسمه الحسين، وأبا الأسود الدؤلى فى حرف الظاء لأن اسمه ظالم، والشريف الرضى فى حرف الميم لأن اسمه محمد ، وصلاح الدين الأيوبى فى حرف الياء لأن اسمه يوسف، والفراء النحوى فى حرف الياء لأن اسمه يحيى، وهكذا.

كذلك لم يراع تجانس الأعلام المتلاحقة، فقاض بعده شاعر،ومؤرخ بعده سلطان، ومتكلم بعده كاتب الخ .. فإن حدث تجانس كان سببه أن أوائل الأسماء من حرف واحد، وقد فطن إلى هذا كما ذكر فى مقدمة كتابه إذ يقول : (والتزمت فيه تقديم من كان أول اسمه الهمزة، ثم من كان ثانى حرف من اسمه الهمزة أو ماهو أقرب إليها، على غيره ، فقدمت إبراهيم على أحمد ؛ لأن الباء أقرب إلى الهمزة من الحاء، وكذلك فعلت إلى آخره، ليكون أسهل للتناول، وإن كان هذا يفضى إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر فى العصر ، وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين، ولكن هذه المصلحة أحوجت إليه[1]. ولكنه تغاضى عنه، ولم يراع تفاوت العصور، فعلم من القرن الأول بعده علم من القرن الرابع وعلم من القرن السابع ، بعده علم من القرن الثانى ، وهكذا .

---

(١) وفيات الأعيان : ١/ ٢٠ .

وقد تتلاحق أعلام من قرن واحد، لأن أوائلها متفقة الحروف، ولم يغنل هو عن هذه المفارقة، ولكنه صرف النظر عنها، وإذ كان فى هذا الترتيب تعمية حتى ليخيل إلى الباحث أحياناً أن ابن خلكان لم يترجم للعلم الذى يريده، لأن كثيراً من الأعلام معروفون بكناهم أو بألقابهم، وليسوا معروفين بأسمائهم .

(٢) الدقة فى ضبط الأعلام، وقد كان منهج ابن خلكان رشيداً فى ضبط الأعلام المحتاجة إلى ضبط حتى تسلم من التحريف والتصحيف، وقد ضبطها ضبطاً معجمياً بالحروف لا بالحركات لأن الحركات قد تؤدى إلى الاختلاف فيحدث الخطأ، مثل قوله فى ترجمة أبى نصر محمد بن جهير أنها بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء. قال السجستانى إنها بضم الجيم، غلط ، يقال رجل جهير بين الجهارة أى ذو منظر، ويقال أيضا جهير الصوت[1]. ومثل أبى محمد بن طرخان، فقال : طرخان بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف نون[2].

ومثل أبى عيلة بن معمر المثنى، فإنه قال : معمر بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفى آخره الراء، والمثنى بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفى آخره ياء مثناه من تحتها [3].

(١) وفيات الأعيان : ٤/ ٣٦٥ - ٣٧٢ .
(٢) نفس المصدر : ٤/ ٣٧٨ - ٣٩٠.
(٣) نفس المصدر ٤/ ٤٤٨.

وقال فى ترجمة أبى الوليد معن بن زائدة الشيبانى أن أحد أجداده اسمه الصلب بضم الصاد المهملة وسكون اللام وآخره الباء الموحدة[1].

كذلك كان (ابن خلكان) مدققا فى ضبط النسبة، سواء أكانت إلى شخص أم إلى بلد كقوله (فيروزاباد) بكسر الفاء وسكون الياء المثناة التحنية وضم الراء المهملة وواو ساكنة وزاى مفتوحة وألف ساكنة وباء موحدة وألف بعدها ذال معجمة بلدة بفارس قاله الحافظ السمعانى فى كتاب الأنساب ، وقال غيره هى بفتح الفاء [2].

وقال الأبيوردى[3] فتح الهمزة وكسر الباء وسكون الياء المثناة وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة. وهذه النسبة إلى أبيورد وهى بليدة بخراسان خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

وأحيانا يشرح معنى الكلمة كقوله فى ابن بابشاذ : بابشاذ معناها السرور، وقوله فى ترجمة ابن التعاويذى : هذه النسبة إلى كتبه التعاويذ وهى الحروز [4]، وقوله فى ترجمة أبى الفضل بن العميد حينما جاء ذكر أبى حيان التوحيدى: (لم أر أحداً ممن وضع كتب الأنساب تعرض إلى هذه النسبة،ولا السمعانى ولا غيره، ولكن يقال إن أباه كان بيع لتوحيد

(١) نفس المصدر ٤/ ٤٥٤ .
(٢) وفيات الأعيان : ١/ ٥٨.
(٣) نفس المصدر : ٣/ ٤٨٣.
(٤) نفس المصدر : ٤/ ٢٦٠ .

بيغداد،نوع من التمر بالعراق [1].

وإذا لم يعرف سبب النسبة صرح بذلك ، كقوله فى ترجمة العميدى : ولا أعرف هذه النسبة إلى ماذا، ولا ذكرها السمعانى [2].

(٣) وكما عرفنا من قبل أن ابن خلكان كان حريصا فى ضبط أعلامه ضبطاً دقيقاً حتى لا تقع الشبهه بين علم وآخر، فكذلك كان حريصا على تحرى زمن الوفاة ، فهو يذكر اسم الشخص واسم أبيه وجده أو أجداده، ونسبه ومولده إن وقف عليه، ويتبع ذلك بذكر زمن الوفاة فان وجد آراء مختلفة فى زمن المولد والوفاة نص عليها .

وعلى سبيل المثال أنه عندما ترجم للبحترى قال : (كانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين، وقال الجوزى : توفى البحترى وهو ابن ثمانين سنة. والله أعلم بالصواب، وكان موته بمبج وقيل بحلب والأول أصح)[3]، وقوله فى ترجمة ابن التعاويذى : (كنت ولادته فى العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسع عشرة وخمسمائة ببغداد وقال ابن النجار فى تاريخه مولده يوم الجمعة، وتوفى يوم السبت ثامن عشر شوال[4]، ولقد يعقب على الروايات المختلفة بترجيح إحداها، كما رجح فى تاريخ وفاة ابن رشيق القيروانى : أنه سنة ثلاث وستين وأربعمائه . وقال

(١) نفس المصدر : ٤/ ٣٥٣ - ٣٥٤.
(٢) نفس المصدر : ٤/ ٩٠.
(٣) وفيات الأعيان : ٥/ ٢٣.
(٤) نفس المصدر : ٤/ ٢٦٠.

: إن هذا أصح من الرواية التى وجدها بخط بعض لفضلاء) [1]. وكما قال فى ترجمة أبى مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوى (أنه توفى سنة تسعين ومائة وقيل فى السنة التى نكب فيها البرامكة وهى سنة سبع وثمانين ومائة وهو الأصح)[2].

فإذا تعثرت لديه معرفة زمن الوفاة على وجه التحقيق صرح بذلك كقوله فى ترجمة المعتمد بن عباد : (وأما أبو بكر بن اللبانة فما رأيت تاريخ وفاته فى شئ من الكتب، ولا رأيت من يعلم ذلك، لكن رأيت فى كتاب الحماسة التى صنفها أبو الحجاج يوسف البياسى أن ابن اللبانة قدم ميورقة فى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائه ومدح ملكها مبشر بن سليمان بأبيات)[3].

وعقب ابن خلكان بقوله : « وكنت أظن أنه مات قبل المعتمد؛ لأنى ما رأيت له فيه مرثية إلى أن رأيت ما قاله البياسى»[4].

(٤) وبعد أن يذكر اسم الشخص واسم أبيه وجده أو أجداده، ونسبه ومولده ، وزمن وفاته، تراه يورد أهم المعالم فى حياة الشخصية التى يترجم لها فهو يتناول بالذكر ثقافته وأساتذته وتلاميذة وأخلافه وأحداثه وصلاته بغيره ومزاياه .

(١) نفس المصدر : ٢/ ٦٩- ٧٠.
(٢) نفس المصدر : ٤/ ٤٣٧.
(٣) نفس المصدر : ٤/ ٢٩٠ .
(٤) نفس المصدر : ٤/ ٢٩١ .

ويضيف إليها أحياناً ملامح من أوصافه الجسدية، وصفاته النفسية كما يذكر مؤلفاته إن كان من أصحاب التأليف، ونماذج من شعره أو نثره إن كان من أرباب الأدب .

وخير دليل على ذلك ماجاء فى ترجمته للمعتمد بن عباد [1]، إذ نقل عن كتاب (لمح الملح) لأبى الحسن على بن القطاع السعدى فى وصف المعتمد بن عباد (إنه أندى ملوك الأندلس راحة ، وأرحبهم ساحة ، وأعظمهم ثماداً، وأرفعهم عماداً ولذا كانت حضرته ملتقى الرحال، وموسم الشعراء، وقبلة الآمال، ومؤلف الفضلاء حتى إنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه، وتشتمل عليه حاشيتا جنابه)[2].

وكثيرا ما يستطرد إلى ذكر بعض ماقيل فيه من مدح أو هجاء، كما نجد فى ترجمة المعتمد بن عباد.

وذكر أن أبا بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمى الدانى، مدح المعتمد بن عباد بقصيدة جاء فيها :

(١) المعتمد بن عباد هو المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبى عمر بن عباد- ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة بمدينة باجة من بلاد الأندلس ، وملك إشبيلية بعد وفاة أبيه. كان صاحب سلطان وجلالة وذكر وحب للشعر والشعراء ثم عدت عليه العوادى فسجن حتى مات فى سجنه سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بأغمات، ثم نودى فى جنازته بالصلاة على الغريب، فتبارك من له البقاء والعزة والكبرياء. (بتصرف) ، وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٤ - ٢٨٩.

(٢) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٧٧ .

يغيثك فى محل، يغيثك فى ر دى.: يروعك فى درع، يروقك فى برد جمال وإجمال وسبق وصولة.: كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد بمهجته شاد العلا تم زادها.: بناء بأبناء جحا جحة لد بأربعة مثل الطباع تركبوا.: لتعديل جسم المجد والشرف العد[1]

ثم يعقب ابن خلكان بقوله : ومع هذه المكارم والإحسان لم يسلموا من لسان طاعن وفيهم يقول أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقى :

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها.: إذا عدم المعروف فى آل عباد حللت بهم ضيف ثلاثة أشهر.: بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد[2]

ومثل هذه التعقيبات كثيرة فى كتاب وفيات الأعيان ، وإن دلت على شئ فإنما تدل على شغف المؤلف بالأدباء والكتاب.

(٦) ويلاحظ على ابن خلكان فى تراجمه أنه كان يربط بين كبار العلماء والشعراء والملوك فى سنى ميلادهم أو وفاتهم، والدليل على ذلك أنه ذكر فى ترجمة أبى الفرج الأصفهانى [3] أنه فى عام ست وخمسين وثلاثمائة مات عالمان كبيران وثلاثة ملوك كبار، فالعالمان هما أبو

(١) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٧٩.

(٢) نفس المصدر : ٤/ ٢٨٠.

(٣) نفس المصدر : ٣/ ٣٠٩.

الفرج وأبو القالى سيف الدولة بن حمدان، وكافور الإخشيدى، ومعز الدولة ابن بويه.

(٧) هذا وقد تضمن الكتاب تراجم لبعض النساء مثل : بوران بنت الحسن بن سهل [١] وتقية الصورية [٢] ورابعة العدوية [٣] وزبيدة بنت جعفر [٤] وزينب بنت الشعرى [٥] ونفيسة بنت الحسين [٦].

(٨) وقد جاء أسلوب الكتاب مرسلاً بعيداً عن التكلف والسجع، كما خلا الكتاب من أسلوب العنعنة، وهو مع ذلك أمين فيما ينقل عن غيره، ومدقق فيما يثبت وحتى يتثنى للقارئ الكريم الحكم على منهج ابن خلكان وأسلوبه حكما شاملاً أقدم هذا النموذج لترجمة من التراجم التى وردت فى كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .

---

(١) نفس المصدر : ١/ ٢٧٧.

(٢) نفس المصدر : ١/ ٢٨٥.

(٣) نفس المصدر : ٢/ ٢٣٤.

(٤) نفس المصدر : ٢/ ٢٤٢.

(٥) نفس المصدر : ٢/ ٢٨٨.

(٦) نفس المصدر : ٤/ ٥٩٤.

٨٥١ - البياسى [١]

أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصارى البياسى، أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المتقين؛ كان أديباً بارعاً فاضلاً ، مطلعاً على أقسام كلام العرب من النظم والنثر، وراويا لوقائعها وحروبها وأيامها، بلغنى، أنه كان يحفظ كتاب الحماسة، تأليف أبى تمام الطائى، والأشعار الستة وديوان أبى تمام المذكور، وديوان أبى الطيب المتنبى، وسقط الزند، ديوان أبى العلاء المعرى، إلى غير ذلك من الأشعار من شعراء الجاهلية والإسلام، وتنقل ببلاد الأندلس وطاف بأكثرها، ولما قدم من جزيرة الأندلس إلى مدينة تونس، وجمع للأمير أبى زكريا يحيى بن أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص عمر صاحب إفريقية، رحمهم الله أجمعين، كتاباً سماه « الإعلام بالحروب الواقعة فى صدر الإسلام » ابتدأ فيه بمقتل عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وختمه بخروج الوليد بن طريف الشارى على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية - وقد ذكرت ترجمة الوليد المذكور وخبره وماجرى له ومقتله على يد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى ، وذكرت يزيد المذكور فى ترجمة مستقلة أيضاً قبل هذا،واستوفيت القصة فى الترجمتين - ورأيت هذا الكتاب وطالعته، وهو فى مجلدين أجاد فى تصنيفه وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن .

---

(١) ترجمة البياسى فى اختصار القدح المعلى ص ٩٤. ونفح الطيب ٣/ ٣١٦، ٣٩٠. والمغرب ٢/ ٧٣، وبغية الوعاة ٤٢٣، ومرآة لجنان ٤/ ١٢٩، وشذرات الذهب ٥/ ٢٢. وكشف الظنون ص ١٢٦، والأعلام : ٨/ ٢٤٩.

ورأيت له أيضاً كتاب « احماسة » فى مجلدين ، وقد قرئت النسخة عليه وعليها خطه، كتبه فى أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة، وقال فى آخر الكتاب: وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس، حرسها الله تعالى، فى شوال ست وأربعين وستمائة؛ ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله : أما بعد فإنى قد كنت فى أوان حداثتى وزمان شبيتى، ذا ولع بالأدب ومحبة فى كلام العرب، ولم أزال متتبعاً لمعانية، ومفتشاً عن قواعده ومبانيه إلى أن حصلت لى جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها، ولا يصلح بالناظر فى هذا العلم إلا أن يكون عنده مثلها، وحملتنى المحبة فى ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته واستحسنته من أشعار العرب: جاهليها ومخضرميها وإسلاميها ومولدها، ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم، ما تحسن به المحاضرة وتجمل عليه المناظرة. ثم إنى رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها، وديوان يؤلفها، مؤذن بذهابها ومؤد إلى فسادها، فرأيت أن أضم مختارها وأجمع مستحسنها، تحت أبوب تقيد نافرها وتضم نادرها، ونظرت فى ذلك ، فلم أجد أقرب تبويب، ولا أحسن ترتيب ، مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب بن أوس، رحمه الله تعالى ، فى كتابه المعروف بكتاب « لحماسة» وحسن الاقتداء به والتوخى لمذهبه، لتقدمه فى هذه الصناعة، وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة، فاتبعت فى ذلك مذهبه ونزعت منزعه، وقرنت الشعر بما يجانسه ، ووصلته بما يناسبه ونقحت ذلك، واخترته على قدر استطاعتى، وبلوغ جهدى وطاقتى .

قلت : وأطال القول بعد هذا بما لا حاجة لنا إلى ذكره، ونقلت منه شيئاً، فمن ذلك ماذكره فى باب المراثي: قال أبو على القالى البغدادى، أنشدنا أبو بكر بن دريد قال : أنشدنا أبو حاتم السجستانى (الطويل) :

ألا فى سبيل الله ماذا تضمنت ∴ بطون الثرى واستودع البلد القفر
بدور إذا الدنيا دجت أشرقت بهم ∴ وإن أجدبت يوما فأيديهم القطر
فيا شامتا بالموت لا تشمتن بهم ∴ حياتهم فخر وموتهم ذكر
حياتهم كانت لأعدائهم عمى ∴ وموتهم للفاخرين بهم فخر
أقاموا ظهر الأرض فاخضر عودها ∴ وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر

ونقلت من باب النسيب قول العباس بن الأحنف- المقدم ذكره- (الطويل)

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه ∴ وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
فإنك إن لم تغفر الذنب فى الهوى ∴ يفارقك من تهوى وأنفك راغم

وقول الوأواء الدمشقى، هكذا قال ، وظنى أنها لأبى الفراس بن حمدان والله أعلم (البسيط) :

بالله ربكما عوجاً على سكنى ∴ وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرض بى وقولاً فى حديثكما ∴ ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فإن تبسم قولا فى ملاطفة ∴ ماضر لو بوصال منك تسعفه
وإن بدا لكم من سيدى غضبٌ ∴ فغالطه وقولا ليس نعرفه

وقول المجنون : [1] (الطويل)

تعلقت ليلى وهى بكر صغيرة ∴ ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم ياليت أننا ∴ إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

البهم : الصغار من أولاد الضأن، الواحدة بهمة ، بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وهذان البيتان يستدل بهما النحاة على انتصاب الحال من الفاعل والمفعول به معا بلفظ واحد، فإن « صغيرين » انتصب على الحال من التاء فى قوله «تعلقت» وهى فاعلة، ومن ليلى ، وهى مفعولة، ومثله قول عنترة العبسى [2] : (الوافر) .

متى ما تلقنى فردين ترجف ∴ روانف اليتيك وتستطارا [3]

نصب « فردين» على الحال من ضمير الفاعل والمفعول فى «تلقنى» ذكره ابن الأنبارى فى كتاب « أسرار العربية» فى باب الحال .

وقال الوأواء الدمشقى أيضا ذكره فى حماسته البياسى المذكور أيضا [4] (البسيط):

وزائر راع كل الناس منظره ∴ أحلى من الأمن عند الخائف الوجل

ألقى على الليل ليلا من ذوائبه ∴ فهابه الصبح أن يبدو من الخجل

(١) البيتان فى ديوان مجنون ليلى ، ص : ٢٣٨ .

(٢) ديوان عنترة : ص ٢٣٤.

(٣) فى الديوان : « متى ما تلقنى ».

(٤) ديوان الوأواء الدمشقى : ص ١٨٠.

أراد بالقتل هجرى فاستجرت به ∴ فاستل بالوصل روحى من يدى أجلى

فصرت فيه أمير العاشقين فقد ∴ صارت ولاية أهل العشق من قبلى

وقال على بن عطية البلنسى ابن الزقاق [1] : (الطويل)

ومرتجة الأعطاف أما قوامها ∴ فلدن وأما ردفها فرداح

ألمت فبات الليل من قصر بها ∴ يطير وما غير السرور جناح

وبت وقد زارت بأنعم ليلة ∴ تعانقنى حتى الصبح صباح

على عاتقى من ساعديها حمائل ∴ وفى خصرها من سعادى وشاح

وقال أحمد بن الحسين بن خلف، المعروف بابن البنى اليعمرى - قلت : هو المقدم ذكره فى ترجمة يوسف بن عبد المؤمن، صاحب المغرب - وكان قد أخرجه صاحب ميورقة ، وسيره فى البحر، فساروا يومهم، فهبت عليهم الريح فردتهم فقال : (الوافر) :

أحبتنا الأولى عتبوا علينا ∴ فأقصونا وقد أزف الوداع

لقد كنتم لنا جذلا وأنسا ∴ فهل فى العيش بعدكم انتفاع ؟

أقول وقد صدرنا بعد يوم ∴ أشوق بالسفينة أم نزاع ؟

إذا طارت بنا حامت عليكم ∴ كأن قلوبنا فيها شراع

وقال الواثق بالله وله فيه غناء : (البسيط)

ماكنت أعرف ما فى البين من حزن ∴ حتى تنادوا بأن قد جئ بالسفن

قامت تودعنى والدمع يغلبها ∴ فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن

(١) الأبيات فى ديوان ابن الزقاق البلنسى ص : ١٢٩ .

مالت على تقديني وترشفني ∴ كما يميل نسيم الريح بالغصن

فأعرضت ثم قالت وهي باكية ∴ باليت معرفتي إياك لم تكن

وأورد في باب [1] القرى والأضياف والفخر والمديح قول أبي الحسن جعفر بن إبراهيم الحاج اللورقي : (مجزوء الكامل) :

عجبًا لمن طلب المحا ∴ مد وهو يمنع ما لديه

ولباسط آماله ∴ للمجد لم يبسط يديه

لم لا أحب الضيف أو ∴ أرتاح من طرب إليه

والضيف يأكل رزقه ∴ عندي ويحمدني عليه

ومما ينسب إلى عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، أنه قال حين كف بصره : من البسيط :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ∴ ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وذهني غير ذي دخل ∴ وفي فمي صارم كالسيف مطرور

وذكر في باب الهجاء والعتاب وما يتعلق بهما لأبي العالية أحمد بن مالك الشامي : (المنسرح) :

أدم بغداد والمقام بها ∴ من بعد ما خبرة وتجريب ؟

ما عندي أملاكها لمرتقب ∴ رفد ولا فرجة لمكروب

خلوا سبيل العلى لغيرهم ∴ ونازعوا في الفسوق والحوب

(١) كلمة « باب » ساقطة من النسخة (أ) .

يحتاج راجي النجاح عندهم ∴ إلى ثلاث من بعد تقريب

كنوز قارون أن تكون له ∴ وعمر نوح وصبر أيوب

وأنشد أبو بكر محمد بن يحيى الصولي لأبي العطاف الوفي صالح بن عبد الرحمن بن نشيط : (مجزو الكامل) :

يا ابن الوليد أبن لنا ∴ إن البيان له حدود

مالي أراك مسيبا ∴ أين السلاسل والقيود ؟

أغلا لحدد بأرضكم ∴ أم ليس يضبطك الحديد ؟

قلت : إلى هنا نقلت من كتاب (الحماسة) المذكور ، وبه كفاية ، إذا كان الغرض إيراد شئ من أخبار هذا الرجل ليستدل به على معرفته في الشعر.

وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة. وتوى يوم الأحد الرابع من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، بمدينة تونس، رحمة الله تعالى .

والبياسي : يفتح الباء الموحدة والياء المشددة المثناة من تحتها ، هذه النسبة إلى بياسة، وهي مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جيان ، هكذا قاله ياقوت الحموي في كتابه « المشترك وضعا» [1].

* * *

(١) وفيات الأعيان : جـ ٥ ص : ٥٨٥ - ٥٩١ .

نظرات ابن خلكان النقدية

إن تراجم ابن خلكان للشعراء تشير إلى اهتماماته الأدبية والنقدية، حيث كان يورد ترجمة الشاعر متضمنة بعض أشعاره ثم يبدى رأيه فيها ويوازن بينها وبين شعر شاعر آخر ، فتأتى أحكامه النقدية لتدل على ما كان يتمتع به ابن خلكان من ذوقٍ أدبى مرهف وملكة نقدية متقدمة تتواءم مع مقاييس النقد القديمة التى تعتمد على الذوق، مع الإشارة الموجزة إلى ما فى النص الشعرى من حسن أو إساءة، وذلك كالإشارة إلى بعد الشاعر عن الحشو، أو حسن تخلصه من الغزل إلى المديح، وجمال محسناته المعنوية وعندما لا تروقه الأشعار التى يعرضها فى أثناء ترجمته للشخصية تراه يشير إلى ذلك إذ يضعها فى ميزان نقده فيوازن ويقارن بينها وبين شعر الآخر ثم يبرز رأيه فيها ولا يفوتنى هنا أن أذكر أن ابن خلكان قد ترجم لشخصيات تعرض شعر أصحابها لملاحظات نقدية من بعض الأدباء والشعراء، فقد عرض ابن خلكان هذه النقدات كما قرأها أو سمعها دون تدخل شخصى منه وسنرى أمثلة تؤكد ذلك فى صفحات هذا البحث وقد نالت قضية « السرقات الشعرية» اهتماما كبيراً من ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان أظهر ت قدرته الأدبية، وسعة اطلاعه الشعرى الأمر الذى مكنه من معرفة سرقة المعانى الشعرية وتمييزها مع إصدار حكمه الصائب فيها .

وسأعرض فيما يلى نماذج شعرية تحمل لمسات نقدية مما حواه كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناءالزمان لابن خلكان - ونتبين ما فيها .

ففى ترجمته لأبى الفضل المنبجى[1] يورد أشعاراً له ويضعها ابن خلكان فى ميزان نقده وينقدها شطراً شطراً، ويبين رأيه فيها وما كان ينبغى أن يصوغه الشاعر فيها وذلك من وجهة نظره النقدية وها هى الأبيات :

وأغيد غصن زاد خط عذاره ∴ عاشقه فى همه والبلابل

تموج بحار الحسن فى وجناته ∴ فتقذف منها عنبرا فى السواحل

وتجرى بخديه الشبيبة ماءها ∴ فتنبت ريحانا جنوب الجداول[2]

يقول ابن خلكان قلت : « وقد خطر لى على هذا مأخذ وهو أنه جعل فى البيت الثانى (بحار الحسن تموج فى وجناته) فكيف يقول البيت الثالث (وتجرى بخديه الشبيبة ماءها) وما مقدار ماء الشبيبة بالنسبة إلى بحار الحسن؟ وما كفى هذا حتى جعلها جداول، والجداول الأنهار، وأين الأنهار من البحار، ثم إنه فى البيت الثانى قد شبه العذار بالعنبر ، فكيف يجعله فى البيت الثالث ريحاناً ؟ وأين العنبر من الريحان ؟ وإن كان كل واحد من العنبر والريحان قد جرت عادة الشعراء أن يشبهوا به العذار، ولكن فى متطوع واحد من الشعر ما لهم عادة يجمعون بينهما»[3].

(١) أبو الفضل المنجى هو : أبو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد المنبجى ، له شعر مطبوع غير متكلف، ولد سنة ست وثمانين وأربعمائة بمنبج، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين وخمسمائة بحماة. وفيات الأعيان ٥/ ٢٠٨، ومعجم الأدباء ٥/ ٦٣٥ .

(٢) وفيات الأعيان : ٥/ ٢٠٨، ومعجم الأدباء : ٥/ ٦٣٦ .

(٣) نفس المصدر : ٥/ ٢٠٨ - ٢٠٩ .

ولقد مدح سبط التعاويذى[1] الملك صلاح الدين بقصيدة كان لابن خلكان لمسات نقدية عليها، والآن نستعرض نص القصيدة ثم نطالع نقد ابن خلكان لها :

حتامَ أرضى فى هواك وتغضبُ ؟∴ وإلى متى تجنى على وتعتب

ما كان لى لولا ملالك زلة∴ لما مللت زعمت أنى مذنب

خذ فى أفانين الصدود فإن لى∴ قلبا على العلات لا يتقلب

أتضنننى أضمرت بعدك سلوة ؟∴ هيهات عطفك من سلوى أقرب

أنسيت أياما لنا وليالياً∴ للهو فيها والبطالة ملعب

أيام لا الواشى يعد ضلالة∴ ولهى عليك ولا العذول يؤنب

قد كنت تنصفنى المودة راكبا∴ فى الحب من أخطاره ما أركب

واليوم أقنع أن يمر بمضجعى∴ فى النوم طيف خيالك المتأوب

ما خلت أن جديد أيام الصبا∴ يبلى ولا ثوب الشبيبة يسلب

حتى انجلى ليل الغواية واهتدى∴ سارى الدجى وإنجاب ذاك الغيهب

وتنافر البيض الحسان فأعرضت∴ عنى سعاد وأنكرتنى زينب

قالت وربعت من بياض مفارقى∴ ونحول جسمى: بان منك الأطيب

إن تنقمى سقمى فخصرك ناحل∴ أو تنكرى شيبى فثغرك أشنب[2]

(١) هو أبو الفتح محمد بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذى ، الشاعر المشهور، كان شاعر وقته ، لم يكن فيه مثله، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعانى ودقتها، له ديوان شعر رتبه أربعة فصول.. وكانت ولادته فى سنة ٥١٩هـ وكانت وفاته سنة ٥٨٣ ببغداد . راجع وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٣، والوافى بالوفيات: ٤/ ١١ ، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٥، ومعجم الأدباء الياقوت : ٥/ ٣٦٥.

(٢) وفيات الأعيان : ٥/ ٥٦٠، معجم الأدباء : ٥/ ٣٦٨ - ٣٦٩.

والآن نستعرض نقد ابن خلكان للقصيدة فيقول :

« قلت : لله دره ، فلقد أجاد فى هذا المعنى كل الإجادة، غير أنه قد ظن أن الشنب بياض الثغر، وعليه بنى هذا المعنى حتى تم له مقصوده، فإنها لما عيرته بالقسم قابلها بنحول الخصر، فقال لها: إن كنت نحيلا فخصرك أيضا نحيل فلما أنكرت شيبه قابلها بأن ثغرها أشنب، فكأنه قال لها : بياض شيبى فى مقابلة ثغرك الأشنب، وليس الأمر كما ظن ، فإن الشنب فى اللغة ليس البياض، وإنما هو حدة فى الأسنان، ويقال : بردها وعذوبتها، والصحيح أنه حدتها، وهو دليل على الحداثة، لأن الأسنان فى أول طلوعها تكون حادة، فإذا مرت عيها السنون احتكت وذهبت حدتها»[1] .

وبعد إيراد هذا النقد الصائب يشير ابن خلكان إلى أن هذا المعنى ينظر إلى قول النابغة الذبيانى فى جملة قصيدته المشهورة [2] وهو :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ∴ بهن فلول من قراع الكتائب[3]

وقد أعجب ابن خلكان بمدحية البحترى[4] الرائية فى المتوكل أبى الفضل جعفر، وأولها :

---

(١) وفيات الأعيان : ٥/ ٥٦٠ - ٥٦١ .
(٢) نفس المصدر : ٥/ ٥٦١ .
(٣) وفيات الأعيان : ٥/ ٥٦١ .
(٤) البحترى هو : أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى البحترى، الشاعر المشهور، ولد بمنبج وقد مدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله، وأقام ببغداد دهراً طويلاً ثم عاد إلى الشام وللبحترى كتاب كتاب« حماسة» على مثال« خماسة أبى تمام» وله كتاب : « معانى الشعر» وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين، وكنت وفاته سنة أربعة وثمانين وقيل خمس وثمانين، وقيل ثلاث وثمانين ومائتين، وفيات الأعيان: ٥/ ١٦-٢٣« باختصار» .

أخفى هوى لك فى الضلوع وأظهر ∴ وألام من كمد عليك وأعذر [1]

وهى قصيدة من خسمة وثلاثين بيتا أورد منها ابن خلكان سبعة عشر بيتاً، أرى أن نستعرض الأبيات التى اختارها ثم نطالع الحكم الذى نثره عليها.

بالبر صمت وأنت أفضل صائم ∴ وبسنة الله الرضية تفطر
فأنعم بيوم الفطر عينا إنه ∴ يوم أعز من الزمان مشهر
اظهرت عز الملك فيه يجحفل ∴ لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسري فيه وقد غدت ∴ عددا يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل ، والفوراس تدعى ∴ والبيض تلمع، والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها ∴ والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس طالعة توقد فى الضحى ∴ طورا ويطفيها العجاج الأكدر
حتى طلعت بضوء وجه؛ فانجلى ∴ ذاك الدجى وإنجاب ذاك العثير
فافتن فيك الناظرون فإصبع ∴ يومى إليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التى فازوا بها ∴ من أنعم الله التى لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبى فهللوا ∴ لم طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت إلى المصلى لا بسا ∴ نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع ∴ لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو أن مشتاقا تكلف غير ما ∴ فى وسعه لمشى إليك المنبر

---

(١) ديوان البحترى : شرح د/ يوسف الشيخ محمد ١/ ١٩ ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، وفيات الأعيان ٥/ ١٩-٢٠ .

أيدت من فضل الخطاب بحكمة ∴ تنبى عن الحق المبين وتخبر

ووقفت فى برد النبى مذكرا ∴ بالله تنذر تارة وتبشر (١)

انظر إلى حكمه على هذا الشعر . إذ يقول : « وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة، والسهل الممتنع ، فلله دره ما أسلس قياده، وأعذب ألفاظه، وأحسن سبكه، وألطف مقاصده، وليس فيه من الحشو شئ بل جميعه نخب»(٢).

فهذه العبارات تكشف لنا عن قوة الملاحظة عند ابن خلكان كما تكشف عن رهافة حسه وتمكنه من الفن الأدبى وإجادة نقده وسلامة حكمه .

فالشاعر بحق أحسن كل الإحسان وأجاد كل الإجادة بما حملتَ هذه الأبيات من معانى لطيفة، وكلمات منتقاة، وتراكيب سديدة ، ومقابلات رشيده.

وأعجبته قصيدة محمدَ بن نصر بن عنين(٣) التى قالها فى الملك العادل صاحب دمشق والتى أولها :

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ∴ عليهم لو سامحونى بالكرى

(١) ديوان البحترى ١/ ١٩-١٢، وفيات الأعيان ٥/ ١٩ - ٢٠

(٢) وفيات الأعيان : ٥/ ٢٠.

(٣) ابن عنين هو : أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عنين الأنصارى الكوفى الأصل الدمشقى المولد الشاعر المشهور، كان مولعا بالهجاء وسلب أعراض الناس . ولد سنة تسع وأربعين وخمسمئة ، وتوفى سنة ثلاثين وستمائة بدمشق، وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٨، ٢٦٩، ومعجم الأدباء لياقوت ٥/ ٤٦٢.

يرى أنها من أحسن الشعر، وهى عنده خير من قصيدة أبى بكر محمد عمر الأندلسى التى أولها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى ∴ والنجم قد صرف العنان عن السرى(١)

وأعطى رأيه فى ابن عنين فقال : » كان خاتمة الشعراء، لم يأت بعده مثله، ولا كان فى أواخر عصره من يقاس به ولم يكن شعره مع جودته مقصوراً على أسلوب واحد ، بل تفنن فيه»(٢).

وهكذا نرى ابن خلكان أديباً ناقداً يقرأ ويتذوق ويوازن ويقارن بين القصيدة والأخرى فيصدر حكمه الصائب على الشعر والشاعر .

ونمضى مع ابن خلكان لنرى الشواهد الشعرية التى أوردها للشعراء فى أثناء ترجمته لهم وأحكامه النقدية التى نثرها عليهم وعلى أشعارهم. فقد أعجب ابن خلكان بـ « لامية» مروان بن أبى حفصة(٣) التى مدح فيها معن بن زائدة الشيبانى وهى تربو على الستين بيتاً، وقد ذكر منها تسعة أبيات وهى :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ∴ أسود لهم فى بطن خفان أشبل

هم يمنعون الجار حتى كأنما ∴ لجارهم بين السماكين منزل

(١) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٧١ -

(٢) نفس المصدر : ٤/ ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٣) مروان بن أبى حفصه هو : مروان بن أبى حفصة سليمان بن يحيى بن أبى حفصة يزيد الشاعر المشهور من أهل اليمامة. قدم بغداد ومدح المهدى، وهارون الرشيد، ولد سنة خمس ومائة وكانت وفاته أثنين وثمانين ومائة ببغداد. وفيات الأعيان ٥/ ٤١٣-٤١٦.

تجنب «لا» فى القول حتى كأنه∴ حرام عليه قول « لا» حين يسأل
تشابه يوماه علينا فأشكلا∴ فلا نحن ندرى أى يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه∴ وما منها إلا أغر محجل
بهاليل فى الإسلام سادوا ولم يكن∴ كأولهم فى الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا∴ أجابوا، وإن أعطوا أصابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم∴ وإن أحسنوا فى النائبات وأجملوا
ثلاث بأمثال الجبال حباهم∴ وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل[1]

فبعد أن ذكر الأبيات السالفة الذكر عقب عليها بقوله : « هذا لعمرى هو السحر الحلال المنقح لفظاً ومعنى»[2].

وأثنى على قائلها بقوله : « وحقه أن يفضل على شعراء عصره وغيرهم[3]

ومثل إعجابه بالقصيدة السالفة الذكر أعجب بـ « لامية» محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس[4] التى مدح بها سابق بن محمود بن مرداس الكلابى،

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٤١٤ وديوان شعر مروان بن أبى حفصة: جمعة وحققه وقدم له . د/ حسين عطوان، ٨٨-٨٩، ط دار المعارف ، الطبعة الثالثة .
(٢) وفيات الأعيان : ٤/ ٤١٤ .
(٣) نفس المصدر : ٤/ ٤١٤ .
(٤) محمد بن سلطان هو : أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حبوس الملقب مصطفى الدولة، كان شاعراً مشهوراً مجيداً، له ديوان شعر كبير لقى جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم، ولد سنة أربع وتسعين وثلاثمائة بدمشق وتوفى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بحلب وفيات الأعيان : ٤/ ٢٣١-٢٣٦ وديوان ابن حيوس ٢/ ٤٦٠، تحقيق / خليل مردم، دمشق ١٩٥١م.

أخا نصر بن محمود صاحب حلب .

وذكر منها الأبيات التالية :

طالما قلت للمسائل عنكم ∴ واعتمادى هداية الضلال
إن ترد علم حالهم عن يقين ∴ فالقهم فى مكارم أو نزال
تلق بيض الأعراض سود مثار الـ ∴ ـنقع خضر الأكتاف حمر النصال[1]

ثم عقب على ذلك بقوله : « وما أحسن هذا التقسيم الذى اتفق له، وقد ألم فيه بقول أبى سعيد محمد بن الحسين الرستمى الشاعر المشهور، من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب بن عباد[2] وهى من فاخر الشعر وذلك قوله:[3]

من النفر العاليين فى السلم والوغى ∴ وأهل المعالى والعوالى وآلها
إذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم ∴ وإن نازلوا احمر القنا من نزالها[4]

ثم عقب بقوله :هذا والله الشعر الخالص الذى لا يشوبه شئ من الحشو[5]

ونمضى مع ابن خلكان فى عرض أشعار الشعراء وحكمه عليها .

(١) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٣٣.
(٢) الصاحب بن عباد هو : الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبى الحسن عباد بن العباس بن عباد وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء، كان وزيرا لمؤيد الدولة أبى منصور بن ركن الدولة ابن بويه، كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر ولد سنة ستة وعشرين وثلاثمائة وكنت وفاته سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالرى، وفيات الأعيان ١/ ٢٣٠-٢٣٣، معجم الأدباء لياقوت : ٢/ ٢١٣.
(٣) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٣٣.
(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٣.
(٥) نفس المصدر : ٤/ ٢٣٤.

والشهادة لأصحابها بالإجادة - فتراه يعجب بشعر ابن هانئ الأندلسى[1] ويصدر حكمه عليه بما يصل به إلى عنان السماء، وذلك بعد أن عرض له هذا الأنموذج.

والله لولا أن يسفهنى الهوى ∴ ويقول بعض القائلين تصابى

لكسرت دملجها بضيق عناقة ∴ ورشفت من فيها البرود رضابا[2]

تراه يقول : « وفى هذا الأنموذج دلالة على علو درجته وحسن طريقته، ولولا مافيه من الغلو فى المدح والإفراط المفضى إلى الكفر لكان من أحسن الدواوين، وليس فى المغاربة من هو فى طبقته:لا من متقدميهم ولا من متأخريهم، بل هو أشعرهم على الإطلاق،وهو عندهم كالمتنبى عند المشارقة، وكانا متعاصرين ،وإن كان فى المتنبى مع أبى تمام من الاختلاف مافيه »[3].

وفى أثناء ترجمة ابن خلكان للشواء[4] الشاعر المشهور ذكر أنه كانت بينهما مودة أكيدة ومؤانسة كثيرة، واجتماعات يتذاكران فيها الأدب، يقول

(١) ابن هانئ: هو : أبو القاسم وأبو الحسن، محمد بن هانئ الأزدى الأندلسى الشاعر المشهور، ولد بإشبيلية وحصل له حظ وافر من الأدب، وعمل الشعر فمهر فيه ، وكانت وفاته فى برقة سنة اثنين وستين وثلاثمائة وفيات الأعيان ٤/ ٢١٥-٢١٦، ومعجم الأدباء : ٥/ ٤٦٩.

(٢) وفيات الأعيان : ٤/ ٢١٨.

(٣) نفس المصدر ٤/ ٢١٨.

(٤) هو أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن على بن أحمد بن الحسين إبراهيم المعروف بالشواء، الكوفى الأصل، الحلبى المولد والمنشأ والوفاة- له ديوان شعر كبير يدخل فى أربع مجلدات، كان أديبا فاضلاً مفننا لعلم العروض والقوافى، ولد سنة ٥٦٢هـ تقديرا- وتوفى سنة ٦٣٥هـ بحلب . وفيات الأعيان : ٥/ ٥٧٩ - ٥٨٤، الأعلام : ٨/ ٢١٧ .

ابن خلكان : « وأنشدته يوما فى أثناء مناشدة جرت بيننا قول شرف الدين أبى المحاسن محمد[1] المعروف بابن عنين الدمشقى فى صدر جهان المعروف بابن مازه البخارى»[2].

مال ابن مازة دونه لعفاته ∴ خرط القتادة أو منال الفرقد

مال لزوم الجمع يمنع صرفه ∴ فى راحة مثل المنادى المفرد[3]

فقال : هذا ليس بجيد ، فقلت له : ولم ذاك ؟ فقال : ليس من شرط المنادى المفرد أن يكون مضموما، ولابد ، فقد يكون المنادى مفرداً ، ولا يكون مضمومًا بأن يكون نكرة غير معين كما تقول : يا رجلاً ، ولكن أنا أعمل فى هذا شيئاً، ثم إننا اجتمعنا بعد ذلك فى الجامع فقال : قد عملت فى ذلك المعنى شيئا فاسمعه، ثم أنشد :

لنا ليل له خلال ∴ تعرب عن أصله الأخس

أضحت د مثل حيث كف ∴ وددت لو أنها كأمس[4]

فقلت له : وهذا أيضا فيه كلام ، فقال : وماهو ؟ فقلت : حيث فيها لغات، فمن العرب من يبنيها على الضم، ومنهم من يبنيها على الفتح، ومنهم من يبنيها على الكسر، وفيها لغات أخر غير هذه ، وإما أمس فمنهم من يبنيها

(١) ترجم له ص : ٢٠٥ من هذا البحث .

(٢)وفيات الأعيان : ٥/ ٥٨١.

(٣) نفس المصدر : ٥/ ٥٨١ .

(٤) نفس المصدر : ٥/ ٥٨١

على الكسر، ومنهم من يقول: إنها اسم معرب لكنه لا ينصرف، وأنشدوا على هذه اللغة[1]:

لقد رأيت عجباً مذ أمسا ∴ عجائزاً مثل السعالى خمسا[2]

هذا إذا كانت معرفة، أما إن كانت نكرة فإنها معربة قولاً واحداً، صرفت[3].

وبعد عن خلال النقائض التي دارت بين جرير والأخطل وصاحبه الشواء يتضح لنا مدى التمكن اللغوي عند ابن خلكان الذي كان عالماً مقيداً عنده في تقويم النصوص الشعرية وصحة الحكم عليها.

ومما يشير إلى اهتمام ابن خلكان بالنقد الأدبي، أن بعض من ترجم لهم عرضت أشعارهم لملاحظات نقدية من بعض الأدباء والشعراء، فكان يعرض هذه الملاحظات النقدية كما قرأها في مصادرها دون تدخل شخصي منه، ومن الأمثلة الدالة على ذلك، ما ورد في ترجمته للشهرزوري: [4] يقول عنه: وله نظم جيد، فمن ذلك ما أنشدني له بعض أهل بيته وهو:

وكأن أثيلك والنجوم رواصد ∴ والفجر وهم في ضمير المشرق

---

(١) نفس المصدر: ٤/ ٧٨.

(٢) نفس المصدر: ٤/ ٧٨.

(٣) نفس المصدر: ٤/ ٧٨.

(٤) هو أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي الحسن القاسم الشهرزوري كان فقيهاً أديباً شاعراً كاتباً فريداً في بابه المجالسة. ولد بالموصل سنة ٤٩٢ هـ وتوفي بدمشق سنة ٥٧٢ هـ. وفيات الأعيان ٤/ ٧٦-٧٨، والوافي بالوفيات: ٣/ ٣٣١، وطبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٧٤.

وركبت الأهوال كل عظيمة ∴ شوقاً إليك لعلنا أن نلتقى[1]

ثم يقول: «وقال عماد الدين الكاتب الأصبهاني في «الخريدة» في ترجمة القاضي كمال الدين المذكور: أنشدني لنفسه هذين البيتين في ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين، وقد تذكرت قول أبي يعلى بن الهبارية الشريف في معنى الصباح وإبطائه:

كم ليلة بت مطويا على حرق ∴ أشكو إلى النجم حتى كاد يشكوني

والصبح قد مطل الشرق العيون به ∴ كأنه حاجة في كف مسكين[2]

ثم قال: لو قال: «تقضى لمسكين» لكان أحسن فإنها تمطل بقضائها، ثم قال: وكلاهما أحسن وأجاد»[3].

وعندما عرض لترجمة سالم الخاسر الشاعر تراه[4] يقول:

وكان سالم من الشعراء المجيدين من تلامذة بشار، وصار يقول أرق من شعر بشار وكان بشار قد قال[5]:

---

(١) وفيات الأعيان: ٤/ ٧٨. (٢) نفس المصدر: ٤/ ٧٨. (٣) نفس المصدر: ٤/ ٧٨.

(٤) سالم الخاسر هو: هو سالم بن عمر بن حماد بن عطاء بن ياسر وسمى الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً وكان سالم من الشعراء المجيدين وكانت وفاته سنة ست وثمانين ومائة، وفيات الأعيان ٢/ ٢٩٢-٢٩٤، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب- لياقوت ٣/ ٣٨٨، ط دار الكتب العلمية، لبنان طبع سنة ١٩٩١ م.

(٥) بشار هو: أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ، العقيلي بالولاء الضرير الشاعر المشهور، وهو بصري قدم بغداد، وهو في أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين فيه، ولد سنة ست وتسعين بالبصرة وتوفي ببغداد سنة ست وستين ومائة. وفيات الأعيان ١/ ٢٦٤-٢٦٥، والشعر والشعراء، لابن قتيبة. /١٧٧، ط بيروت سنة ١٩٨٤م.

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ∴ وفاز بالطيبات الفاتك اللهج[1]

وقال سالم :

من راقب الناس مات غما ∴ وفاز باللذة الجسور[2]

فغضب بشار وقال ذهب والله بيتى، يأخذ المعانى التى تعبت فيها فيكسوها ألفاظا أخف من ألفاظى، فمازالوا يسألونه حتى رضى عنه، وقال أبو معاذ النميرى: رأيت بشاراً لما قال هذا البيت وهو يلهج به كثيراً :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ∴ ..... البيت

قلت : يا أبا معاذ قد قال سالم الخاسر بيتاً فى هذا المعنى هو أخف من هذا، وأنشدته :

من راقب الناس مات غماً ∴ وفاز باللذه الجسور

فغضب بشار وقال : ذهب والله بيتى ، والله لا أكلت اليوم شيئاً ولا صمت[3].

(١) وفيات الأعيان : ٢/ ٢٩٣. هذا البيت من أبدع شعر بشار فى التعبير عن حالة من خلق الناس، والفاتك : القاتل واستعاره للجرئ الذى لا يعبأ بإنكار الناس، واللهج (بفتح اللام وكسر الهاء) المغرى بالشئ المثابر عليه، من باب فرح. أى المقدام . ديوان بشار: تقديم وشرح وتكميل محمد الطاهر عاشور ٢/ ٧٥، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٠م.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٢٩٣، ومعجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموى ٣/ ٣٨٩.

(٣) وفيات الأعيان : ٢/ ٢٩٤.

السرقات الشعرية :

ومن القضايا النقدية التى نالت حظاً وافراً من اهتمام ابن خلكان قضية السرقات الشعرية وإن معرفته للسرقات الشعرية أمر يشهد له بالذكاء والعبقرية ورهافة الحس الأدبى، وقد سلك فى هذه القضية مسلك القضاة العلماء ومن هنا نرى نزاهة الحكم عنده، وقيامه على أسس علمية صحيحة لا يقصد من ورائها الجور والتحامل .

وكأنه نظر إلى قول صاحب الوساطة إذ قال : « وهذا باب يحتاج إلى إنعام الفكر، وشدة البحث، وحسن النظر ، والتحرز من الإقدام قبل التبين، والحكم إلا بعد الثقة ، وقد يغمض حتى يخفى ، وقد يذهب منه الواضح الجلى على من لم يكن مرتاضاً بالصناعة، متدرباً بالنقد، وقد تحمل العصبية فيه العالم على دفع العيان، وجحد المشاهدة، فلا يزيد على التعرض للفضيحة، والاشتهار بالجور والتحامل ! »[1].

فعندما يعرض شعراً للشخصية التى يترجم لها تراه يتوقف عند بعض الأبيات فيتبع المعنى فيها تتبعا دقيقا ويبين أن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان الشاعر ثم يورد الشعر الذى سرقت منه المعانى. وينسبه إلى صاحبه إن كان يعرف قائله فإن لم يعرف صاحبه تراه ينبه على ذلك، وقد تكون سرقة المعنى من كلام منثور فتراه يوضح ذلك، وفيما يلى عرض لنماذج تؤكد ما أشرت إليه.

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه - للقاضى الجرجانى. تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد البجاوى - ٢٠٨- طبع الحلبى بمصر .

ففى أثناء ترجمته لابن المستوفى[1] قال : « وله ديوان شعر أجاد فيه، فمن شعره بيتان فضل فيهما البياض على السمرة، وهما :

لا تخدعنك سمرة غـــرارة ∴ ما الحسن إلا للبياض وجنسه

فالرمح يقتل بعضه من غيـره ∴ والسيف يقتل كله من نفســه

وقد أخذ هذا المعنى من قول أبى الندى حسان بن نمير الكلبى المعروف بالعرقلة الدمشقى الشاعر المشهور ، وهو[2] :

إن كنت بالأسمر الزيتى مفتتنـــا ∴ فسل عن الأبيض الفضى بلبالى

إن كان فى الرمح شبر قاتل أبـــدا ∴ ففى المهـــند شبر غـــير قتال

ولما نظم شرف الدين بيتيه هذين قال بعض الأدباء :

لو قال إن بعض الرمح الذى يقتل به هو من جنس السيف كان أتم فى المعنى، فعمل بعض المتأدبين ولا أعلم هل هو شرف الدين نفسه أو غيره - بيتين نبه فيهما على هذه الزيادة ، وهما :

البيض أقتل مضربـــا ∴ وبمهجتى منهـــا الحســـان

والسمر إن قتلـــت فمـــن ∴ بيـــض يصـــاغ بها السنان[3]

(١) هو أبو البركات المبارك بن أبى الفتح أحمد بن المبارك الملقب شرف الدين المعروف بابن المستوفى كان عارفاً بعدة فنون منها الحديث وعلومه وكان ماهراً فى فنون الأدب واللغة وصاحب تصانيف كثيرة منها كتاب « سر الصنعة » وكتاب « النظام فى شعر المتنبى وأبى تمام. ولد بإربل سنة ٥٦٤ هـ ، وكانت وفاته سنة ٦٣٧هـ بالموصل ودفن بها، وفيات الأعيان ٤/ ١١-١٤.

(٢) توفى عرقلة الدمشقى سنة ٥٦٧ هـ . فوات الوفيات :١/ ٣١٣، والأعلام : ٢/ ١٧٧.

(٣) وفيات الأعيان : ٤/ ١١- ١٢ .

وفى أثناء ترجمته لابن ظفر الصقلى[1] يورد له بيتين ثم يشير إلى البيتين اللذين سرق المعنى منهما .

يقول ابن خلكان : ويروى لابن ظفر المذكور شعر ، فمن ذلك ما وجدته فى بعض المجاميع منسوباً إليه وهو :

حملتك فى قلبى فهل أنت عالم ∴ بأنك محمول وأنت مقيم ؟

ألا إن شخصا فى فؤادى محلـه ∴ واشتقاقه، شخص على كريم[2]

وقد أخذ هذا المعنى من قول بعض العرب :

سقى بلداً كانت سليمى تحلـه ∴ مـــن المزن ما تروى به وتشيم

وإن لم أكن من ساكنة فإنـــه ∴ يحل به شخص على كريـــم[3]

وأسوق إليك شاهداً آخر يدل على تتبعه المعانى ومعرفته بالمسروق والمسزوق منه.

فعند ترجمته للسلامى[4] الشاعر المشهور قال ابن خلكان :

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أبى محمد بن محمد بن ظفر الصقلى، صاحب التصانيف الممتعة، منها كتاب: سلوان المطاع فى عدوان الاتباع. وشرح مقامات الحريرى ولد بصقلية ونشأ بمكة وسكن حماة وتوفى بها سنة ٥٦٥هـ. راجع وفيات الأعيان : ٤/ ١٩٣-١٩٤.

(٢) وفيات الأعيان : ٤/ ١٩٤.

(٣) نفس المصدر : ٤/ ١٩٤.

(٤) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله من أشعر أهل العراق قال الشعر وهو ابن عشر سنين نشأ ببغداد وتنقل فى البلاد يمدح أهل الجاه والسلطان فمدح الصاحب بن عباد، وعضد الدولة بن بويه ولد بالكرخ سنة ٣٣٦ وتوفى سنة ٣٩٣هـ. ترجمته فى يتيمه الدهر ٢/ ٤٦٦ ووفيات الأعيان ٤/ ١٩٩م.

دخل السلامى يوما على أبى تغلب وأظنه الحمدانى، وبين يديه درع، فقال صفها لى ، فارتجل :

يارب سابغة حبتنى نعمة ∴ كافأتها بالسوء غير مفند

أضحت تصون عن المنايا مهجتى ∴ وظللت أبذلها لكل مهند[1]

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز فى الخمرة المطبوخة :

وقتنى من نار الجحيم بنفسها ∴ وذلك من إحسانها ليس يجحد [2]

ثم يمضى فى تتبع معانى السلامى فى شعره فيقول : وقصد السلامى حضرة الصاحب بن عباد وهو بأصبهان فأنشده قصيدته البائية التى من جملتها :

تبسطنا على الآثام لما ∴ رأينا العفو من ثمر الذنوب [3]

وهذا البيت من محاسنه وفيه إشارة إلى قول أبى نواس الحسن بن هانئ من جملة أبيات فى الزهد وهو قوله :

تعض ندامة كفيك مما ∴ تركت مخافة النار السرورا[4]

وفيه إلمام أيضا بقول المأمون : لو علم أرباب الجرائم تلذذى بالعفو لتقربوا إلى بالذنوب[5].

(١) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٠١، يتيمة الدهر ٢/ ٤٦٩.
(٢) نفس المصدر : ٤/ ٢٠٢ .
(٣) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٠٢ ، يتيمة الدهر : ٢/ ٤٦٩.
(٤) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٠٢ .
(٥) نفس المصدر : ٤/ ٢٠٢ .

عندما نزل السلامى على عضد الدولة بن بويه أنشد قصيدته التى منها:

إليك طوى عرض البسيطة جاعل ∴ قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى ∴ ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر

وبشرت آمالى بملك هو الورى ∴ ودار هى الدنيا، ويوم هو الدهر [1]

وقد أخذ القاضى أبو بكر أحمد الأرجانى - معنى البيت الأخير وسبكه فى قوله :

ياسائلى عنه لما ظلت أمدحه ∴ هذا هو الرجل العارى من العار

لوزرته لرأيت الناس فى رجل ∴ والدهر فى ساعة والأرض فى دار [2]

ثم يعقب ابن خلكان على البيت السابق بقوله :

وهذا البيت وإن كان فى معنى ذلك البيت لكن ليس فى رشاقته ولا عليه طلاوته، وقد استعمل المتنبى أيضا هذا المعنى المذكور لكنه لم يكمله فأتى ببعضه فى النصف الأخير من هذا البيت وهو قوله :

هى الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ∴ منزلك الدنيا وأنت الخلائق [3]

وبعد عرض بعض المديح الذى مدح به السلامى عضد الدولة نرى ابن خلكان يقف عند هذا البيت وهو :

(١) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٠٣ ، يتيمة الدهر : ٢/ ٤٧٣.
(٢) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٠٣.
(٣) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٠٣ .

لما أصيب الخد منك بعارض ∴ أضحى بسلسلة العذار مقيدا

فيقول : « ومن هاهنا أخذ ابن التلعفرى [1] قوله :

هب أن خدك قد أصيب بعارض ∴ فعلام صدغك راح وهو مسلسل [2]

وفى ترجمته للأبيوردى [3] يورد له أشعاراً ويشير إلى الأبيات التى أخذ الأبيوردى منها معانيه يقول : وله من جملة قصيدة :

فسد الزمان فكل من صاحبته ∴ راج يتأفق أو مداج خاشى

وإذا اختبرتهم ظفرت بباطن ∴ متجهم وبظاهر هشاش [4]

وهذا المعنى مأخوذ من قول أبى تمام الطائى من جملة قصيدة أجاد فيها كل الإجادة [5].

إن شئت أن يسود ظنك كله ∴ فأجله فى هذا السواد الأعظم

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً ∴ متبسماً عن باطن متجهم [6]

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف التلعفرى شاعر مشهور، كان خليعاً، وامتحن بالقمار توفى بحماة سنة ٦٧٥ هـ. ترجمته فى : فوات الوفيات ٤/ ٦٢ - النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٥، الأعلام٧/ ١٥١

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٥.

(٣) هو : أبو المظهر محمد بن أبى العباس- الشاعر المشهور راوية نسابة شاعراً ظريفاً كان أو حد زمانه فى علوم عديدة من تصانيفه المؤتلف والمختلف وطبقات كل فن - قسم ديوان شعره إلى أقسام منها : العراقيات ومنها النجديات ومنها الوجديات إلى غير ذلك ينسب إلى أبيورد وهو بليدة بخراسان وكانت وفاته بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ. راجع وفيات الأعيان: ٤/ ٢٣٦/ ٢٤٠، الوافى بالوفيات : ٢/ ٩١.

(٤) وفيات الأعيان : ٤/ ٢٣٩ .

(٥) نفس المصدر : ٤/ ٢٣٩.

(٦) نفس المصدر : ٤/ ٢٣٩ .

ومن الشواهد الدالة على تتبع ابن خلكان للمعانى الشعرية ومعرفة السارق من المسروق .

أنه عند ما عرض لترجمة ابن خفاجة الأندلسى [1] عرض نماذج من شعره وأبدى إعجابه بها، ثم ذكر البيتين التاليين وكشف عن وجود سرقة فى معناها:

أقوى محل من شبابك آهل ∴ فوقفت أندب منه رسماً عافياً

مثل العذار هناك نؤيا داثرا ∴ واسودت الخيلان فيه أثافياً [2]

ثم عقب ابن خلكان بقوله : « وقد أخذ بعض المتأخرين وهو العماد أبو على بن عبد النور اللزنى - هذا المعنى فقال » [3]:

ومعقرب الصدغين خلت عذاره ∴ نؤيا أثافى رسمه الخيلان

فوقفت أبكيه بعينى عروة ∴ أسفاً عليه كأنه غيلان [4]

---

(١) ابن خفاجة الأندلسى هو : أبو إسحاق إبراهيم بن أبى الفتح بن عبد الله ابن خفاجة الأندلسى الشاعر، ذكره ابن بسام فى « الذخيرة» وأثنى عليه، وقال : كان مقيماً بشرق الأندلس ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على أهل الأدب، وله ديوان شعر أحسن فيه كل الإحسان. ولد أبو إسحاق بجزيرة شقر من أعمال بلنسية من بلاد الأندلس فى سنة خمسين وأربعمائة وتوفى بها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. وفيات الأعيان ١/ ٨٠-٨١، ونفخ الطيب من عصن الأندلس الرطيب، للمقرى ٢/ ٦٢٥- ط دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) وفيات الأعيان : ١/ ٨١ - وديوان ابن خفاجه ص ٢٧٧- طبع دار صادر - بيروت.

(٣) نفس المصدر : ١/ ٨١ .

(٤) نفس المصدر : ١/ ٨١ .

وفى أثناء ترجمته لابن جهير [1] أورد مجموعة من الأبيات لشاعر يدعى صردر [2] تحمل مديحا لعميد الدولة وقد لحظ ابن خلكان سرقة فى أحد أبياتها فأشار إلى ذلك وذكر البيت الذى سرقت منه المعانى بيد أنه لم يستطع الجزم بالسرقة لعدم معرفته بتاريخ وفاة الشاعر الآخر .

وإن دل هذا فإنما يدل على تمام الدقة والأمانة التى كان يتعامل بها ابن خلكان مع النصوص الشعرية ونقده لها .

يقول صردر فى مدح عميد الدولة :

قد بان عذرك والخليط مودع ∴ وهوى النفوس مع الهوادج يرفع
لك حيثما سمت الركائب لفتة ∴ أترى البدور بكل واد تطلع ؟
ممنوع أطراف الجمال رقيبه ∴ حذراً عليه من العيون البرقع
عهد الحبائل صائدات شبهه ∴ فارتاع فهو لكل حبل يقطع
لم يدر حامى سربه أنى إذا ∴ حرم الكلام له لسانى الأصبع

(١) ابن جهير هو : أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الموصلى الثعلبى كان ذا رأى وعقل وحزم وتدبر استوزر للأمير نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى ، ثم توفى نصر الدولة فاستوزر لابنه نظام الدين وقد ولد فخر الدولة سنة ٣٩٨ هـ بالموصل وتوفى بها سنة ٤٨٣هـ. وفيات الأعيان ٤/ ٣٩٥-٣٩٤. والوافى بالوفيات: ١/ ١٢٢.

(٢) صردر هو : أبو منصور على بن الحسن الكاتب المعروف بصردر الشاعر المشهور جمع بين جودة السبك وحسن المعنى وعلى شعره طلاوة رائقة، وبهجة فائقة، وكانت وفاته سنة ٤٦٥هت بطريق خراسان وفيات الأعيان: ٣/ ٣٣٧، والوافى بالوفيات ١/ ١٢٢-١٢٣، والنجوم الزاهرة: ٥/ ٩٤.

وإذا الطيوف إلى المضاجع أرسلت ∴ بتحية منه فعينى تسمع [1]

يقول ابن خلكان : وهذه القصيدة طويلة وهى من غرر الشعر وقوله فيها:

عهد الحبائل صائدات شبهه ∴ فارتاع فهو لكل حبل يقطع

نظير قول ابن الحمارة [2] الأندلسى :

عن النوم سل عينا به طال عهدها ∴ وكأن قليلاً فى ليال قلائل
إذا ظن وكراً مقلتى طائر الكرى ∴ رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل [3]

يقولابن خلكان : « ولا أدرى أن أيهما أخذ من الآخر، لأنى لم أقف على تاريخ وفاة بن الحمارة حتى أعرف عصره، ويجوز أن يكون ذلك بطريق التوارد على هذا المعنى من غير أن يأخذ أحدهما من الآخر» [4] .

فمن خلال النماذج الشعرية التى تقدم إيرادها مع التعليق عليها نرى أن ابن خلكان قد طوف على أنماط مختلفة من النقد القديم .

حيث خاض فى النقد الذوقى الذى يقوم على الاستحسان والاستهجان بما يتواءم مع مقاييس النقد القديمة حيث الإشارة الموجزة إلى ما فى النص الشعرى من حسن أو إساءة وبيان مواطن ذلك .

(١) وفيات الأعيان : ٤/ ٣٧٠-٣٧١ .
(٢) ابن الحمارة هو : أبو بكر بن محمد بن الحمارة الغرناطى ، شاعر أديب ، برع فى علم الألحان - الوافى بالوفيات : ٢/ ٢٤٢.
(٣) وفيات الأعيان : ٤/ ٣٧١.
(٤) نفس المصدر : ٤/ ٣٧١ .

كما تطرق ابن خلكان إلى النقد اللغوى الذى يقوم على شرح المفردات اللغوية من حيث المعنى مع التوجيه حسب ما تتطلبه القواعد اللغوية المتفق عليها.

فضلاً عن اهتمامه بقضية السرقات الشعرية كما رأينا - حيث كان يأتى بالنص الشعرى فيبين المسروق والمسروق منه - مع الدقة التامة فى العرض والحكم.

وهذا أمر لا يستطيعه إلا متمكن من اللغة وملم بأدبها مع النزاهة فى الحكم.

وأرى أن فيما تقدم ذكره من نماذج شعرية مع بيان وجهة النظر النقدية فيها كفاية.

* * *

ما يؤخذ على ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان

١ - ففيما يتعلق بذكر كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه، فإنه لم يلتزم به كليا؛ لأنه ترجم لشخصيات مغمورة أمثال « مطرف بن مازن الصنعانى » .

واعترف ابن خلكان بذلك عند ترجمته له بقوله : « وهذا مطرف ، ليس من المشاهير الذى احتاج إلى ذكرهم. والذى حملنى على ذكره أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازى ، رحمه الله تعالى ، ذكره فى كتاب المهذب.. ورأيت الفقهاء يسألون عن مطرف المذكور ولا يعرفه أحد، حتى غلط فيه صاحبنا عماد الدين أبو المجد إسماعيل بن أبى البركات هبة الله أبى الرضى ابن باطش فقال مطرف بن عبد الله بن الشخير» (١) .

٢- ومن ناحية الإيجاز الذى أراده أن يكون من ضمن خطته فإنه لم يلتزم به التزاماً تاماً فقد أوجز أحياناً واستطرد أحيانا أخرى وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد استغرقت ترجمة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حوالى ثمانين صفحة (٢) .

٣- لم يراع تجانس الأعلام المتلاحقة، فقاض بعده شاعر، ومؤرخ بعده سلطان، ومتكلم بعده كاتب، وقد فطن هو إلى ذلك - كما سبق أن أشرت- .

---

(١) وفيات الأعيان : ٤/ ٤٢٨.

(٢) نفس المصدر : ٤/ ٤٩٤.

٤ - لم يراع تفاوت العصور ، فعلم من القرن الأول بعده علم من القرن الرابع، وعلم من القرن السابع بعده علم من القرن الثانى وهكذا .

٥ - الاعتماد فى التراجم على الترتيب الهجائى - مع أن معظم الأعلام معروفة بكناها وألقابها - الأمر الذى يخيل للباحث أن ابن خلكان لم يترجم للعلم الذى يريده .

* * *

قيمة الكتاب

إن المؤاخذات التى سبق ايرادها لا تحط من قدر الكتاب - خاصة وإذا نظرنا إلى المجهود العظيم الذى بذله مؤلفه فيه - فقد جمع مادته وفحصها ورتبها فى مدة تزيد على العشرين سنة مع أمانته فيما نقل من مصادر.

والكتاب بحق ذخيرة نفيسه للباحثين فى علوم اللغة والتاريخ والأدب لكثرة ماحوى من تراجم مفيدة ونافعة للشخصيات التى تناولها ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

والله ولى التوفيق

الباحث

د/ حمام السيد أحمد بدوى

قسم الأدب والنقد

ثبت بأهم المصادر

١- البداية والنهاية لابن كثير - طبع مصر سنة ١٣٥١-١٣٥٨ هـ.

٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة - طبع بيروت ١٩٨٤م

٣- تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدى - طبع مصر سنة ١٣٠٦ هـ .

٤- النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة لابن تغزى بردى - تحقيق د/ إبراهيم على طرخان - طبع المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر .

٥- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى - تحقيق د/ محمد محمد أمين القاهرة ١٩٨٤م.

٦- الوساطة بين المتنبى وخصومه - للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى - تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد البجاوى - طبع عيسى البابى الحلبى بالقاهرة.

٧- ديوان البحترى - شرح د/ يوسف الشيخ محمد - طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

٨- ديوان بشار تقديم وشرح وتكميل - محمد الطاهر عاشور- طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٠م.

٩- ديوان ابن حيوس - تحقيق خليل مردم - طبع دمشق سنة ١٩٥١م.

١٠- ديوان ابن خفاجة - طبع دار صادر - بيروت .

١١- ديوان مروان بن أبى حفصة - جمعه وحققه وقدم له د/ حسين عطوان - طبع دار المعارف.

١٢- دائرة المعارف الإسلامية - الجزء الأول- نقلها إلى العربية الأساتذة- أحمد الشنتاوى ، وإبراهيم خورشيد، وعبد الحميد يونس - طبع دار المعرفة- بيروت .

١٣- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى - طبع دار الفكر للطباعة والنشر .

١٤- طبقات الشافعية الكبرى - لتاج الدين السبكى - تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو - د/ محمود محمد الطناحى طبع هجر للطباعة والتوزيع ١٩٩٢م.

١٥- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى - تحقيق د/ إحسان عباس - طبع دار الثقافة - بيروت سنة ١٩٧٣- ١٩٧٤ م.

١٦- لسان العرب لابن منظور - المكتبة التوفيقية القاهرة طبع ١٩٩٩م .

١٧- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعى- طبع دار الكتب العلمية .

١٨- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب لمعرفة الأديب- لياقوت - طبع دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٩١م.

١٩-معجم الأعلام لخير الدين الزركلى - طبع دار العلم للملايين سنة١٩٧٩م.

٢٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى - طبع دار الكتب العلمية - بيروت .

٢١ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لابن خلكان - تحقيق د/ يوسف على طويل، ود/ مريم قاسم طويل طبع دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٩٨م .

٢٢- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر - للثعالبى - تحقيق د/ محمد مفيد قميحة - طبع دار الكتب العلمية بيروت .

* * *